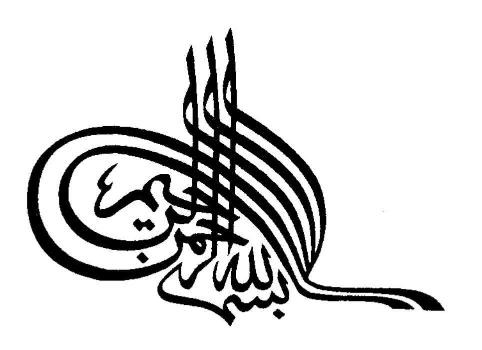
الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها

تأليف
الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي
أستاذ العقيدة والفرق والوافدات الفكرية
ونائب مدير مركز البحوث التربوية بكلية المعلمين في أبها

الناشر
مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة
دار العلوم والحكم
سوريا



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ نبيِّنا محمَّدٍ ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فقد أسَّس المسلمون دولةً قويَّةً نشرت الإسلام ؛ من تخوم الصين شرقاً ، إلى المحيط الأطلسي غرباً ؛ ومن أسوار فيينا وجبال البرانس في فرنسا شمالاً ، إلى أواسط أفريقيا جنوباً .

وأمام هذا الامتداد العجيب نظر أعداء الإسلام إلى حربهم مع المسلمين بالسيف والسِنان، فرأوا أنَّها حربٌ خاسرة ؛ قد أكلت شبابهم، وأفنت رجالهم، وقضت على أحلامهم وآمالهم .

وتأمّلوا في نتائج هذه الحروب عليهم ، حتى كادت الحسرات والزفرات تقطّع نياط قلوبهم .

ثمّ تفكَّروا في سرّ عظمة الأمَّة المحمّدية ، وفي منابع القوَّة عند المسلمين –رغم قلَّة عددهم، وضعف عدّتهم في مقابل جيوش أعدائهم–، والتي جعلتهم يفتحون قلوب العباد وبلادَهم ، فعرفوا السبب الرئيسيّ وراء هذا المدّ الهائل ، إنَّه : الإسلام ..

وأيقنوا أنَّه لا يمكن لهم الانتصار على المسلمين ، ما داموا متمسِّكين بالإسلام ، ملتفِّين حوله . فأجمعوا أمرهم على الكيد بالإسلام وأهله .

من أجل هذا جنَّدوا جنودهم الفكرية، وتعلَّموا اللغة العربية، وترجموا العلوم الإسلامية إلى لغاتهم، ودرسوها دراسة متأنّية، ثمّ وضعوا الخطط الشيطانيّة التي ضمَّنوها أخطر أساليبهم في مواجهة الإسلام، والتي تضمن لهم -بزعمهم- إبعاد المسلمين عن دينهم ، وتمزيق وحدتهم ، وإضعاف قوتهم ، والسيطرة على عقولهم وقلوبهم من خلال غزو فكريّ منظَّم .

فاجتاح غزوهم الفكريّ بلادَ المسلمين ، وأحدث خلخلةً وبلبلةً ، وسبَّب غباشةً في الرُّؤْيَةِ . مِمَّا أدَّى إلى غياب كثيرٍ من القيم ، واضطراب كثيرٍ من الموازين .

ويتساءل كثيرٌ من المسلمين إزاء هذا الاضطراب عن أسباب هذا التناحر الفكري، فلايسمعون جواباً شافياً، ولا يرون ملامح عملٍ يقودهم إلى حيث الاستقرار النفسيّ، أو يهديهم إلى طريق يضمن لهم مستقبلاً آمناً، مع احتفاظهم بتعاليم دينهم. مِمَّا سبَّب "أزمة قِيَمِيَّة" في المجتمع المسلم،كان لها أثرٌ كبيرٌ في دفع شرائحَ كثيرةٍ منه إلى التمرُّد على قِيَمِه .

فمن أهمّ ما يُلاحظ اليوم في أكثر المجتمعات الإسلاميَّة ، تخلِّي عددٍ كبير من الأفراد -سيّما الشباب- عن تمسُّكهم بعقيدتهم ، وقيمهم ، وعاداتهم المستمدة من تعاليم دينهم ، شعوراً منهم بأنَّ هذا التفلُّت يُيَسِّر لهم مواكبة التقدُّم ، ويُذلِّل أمامهم الصعوبات التي تعيقهم عن ملاحقة التطوّرات العلميَّة والتكنولوجيَّة ، وإيماناً منهم بأنَّ المجتمعات المعاصرة تُقدِّرُ القيم الماديَّة أكثر من تقديرها للقيم الدينيَّة والتعاليم السماويَّة .

بل إنَّ المطّلع على حال أغلب المجتمعات المعاصرة ، يُلاحظ أنَّها قد نحَّت الأصول الدينيَّة، وأبعدت الدين عن الحياة، وركَّزت على الجانب الماديّ وحده، وأعطته منطلقه ومداه إلى غايات بعيدة، معتقدة أنَّه قد ((مضى الزمن الذي كانت الديانة فيه هي الحاكمة)) ؛ كما خطَّط لذلك حاخامات اليهود في بروتوكولاتهم[1] .

وهذا يُرشد إلى أنَّ هذه الأساليب ليست مجرَّد اجتهادات فرديَّة ، ولا هي أساليب عفوية، وإنَّما تستند إلى خطط واضحة الأهداف والوسائل ، ترمي إلى هدم الأديان والعقائد[2] .

وهذه التنحيةُ للدين شنشنة عرفناها من الأوروبيّ؛ إذ الدين الذي يعرفه هو التعبُّد للرقيّ الماديّ، كما قال العالم النمسوي المسلم محمَّد أسد عن الحضارة الغربيَّة وموقف الأوروبيّ من الدين : ((إنَّ هياكل هذه الديانة إنَّما هي المصانع العظيمة، ودور السينما، والمختبرات الكيماويَّة ، وباحات الرقص ، وأماكن توليد الكهرباء. وأمَّا كهنة هذه الديانة فهم: الصيارفة، والمهندسون، وكواكب السينما، وقادة الصناعات، وأبطال الطيران))[3] . فلا هدف لهؤلاء في الحياة سوى جعل هذه الدنيا مرتعاً خصباً لتحقيق مطامعهم ومآربهم ، وقضاء شهواتهم وملذَّاتهم أيًّا كانت . فالمادة هي الغاية وهي الوسيلة ، ولا ابتغاء للآخرة .

---

(١) انظر بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٠٤ .

(٢) انظر مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلاميَّة للدكتور محمد عثمان شبير ص ٢٦ .

(٣) الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد ص ٤٧–٤٨ .

ولقد دخل الكثيرُ من المسلمين "جحر الضبّ" وراء أعدائهم من اليهود والنَّصارى ؛ فأبرز ما يكشف عنه إعصار الحضارة الغربيَّة في مظاهرها التي اجتاحت أكثر البلاد الإسلاميَّة ، تلك الأجيال الساذجة البسيطة التي تواجه الحياة من غير اهتمام، كأنَّما هي لَعِبٌ وتسليةٌ وساحةُ لهوٍ وركضٍ؛ يلبسون فيها ما شاؤوا، ويأكلون فيها ما اشتهوا، ولا يرون لأمرٍ من أمورها نظاماً أو قانوناً، ولا يجعلون من وراء عملهم أو حركتهم مساءلة أو هدفاً.

ونظرة سريعة في صحف أكثر البلاد الإسلاميَّة تكشف عن ظاهرة خطيرة أصبحت واضحة في مجتمعاتنا، عميقة التأثير فيها، ألا وهي ظاهرة الإنحراف الذي تردَّى فيه شبابنا وفتياتنا في غياب منهج التربية الإسلامية الأصيل ، مِمَّا يكشف بوضوح مدى الخطر الذي يُهدِّد هذا الجيل والأجيال القادمة .

وحيث اتّجهت في أغلب بلاد المسلمين ترى شباباً شارداً في الشهوة ، مستغرقاً في الخمرة ، متقلِّباً في حمأة الرذيلة . وترى جيلاً مائعاً ، مريضاً جسميًّا وعقليًّا ونفسيًّا وخُلُقيًّا . وبإمكانك أن ترى -كما هو الحال عند الغرب- عصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسيّ ، وعصابات تهريب المخدِّرات ، وتُجَّار الشهوات والغرائز الذين يبيعون الأعراض ، ويؤجِّرون البغايا . وبإمكانك أن ترى -أيضاً- المسابح العامَّة المختلطة التي يتعرَّى روَّادها من كلِّ رداءٍ للفضيلة بلا حياء ولا خجل . ولا تستطيع أن تصمّ أُذنيك عن سماع الأغاني الفاحشة والموسيقى الراقصة التي تتردّد في أغلب التجمّعات العامَّة ، ولا تستطيع أن تُغلق عينيك عن رؤية كتب الجنس ومجلات العري التي تباع علناً في أكثر المحلاَّت .

كلُّ ذلك يجري في أكثر المجتمعات الإسلاميَّة باسم الحريَّة، والحماية القانونيَّة، ورفع شعار الديمقراطيَّة ، ((وكلُّ ذلك يسير بسرعة عجيبة فائقة في أوساط الشباب والشابات في كلِّ مكان دون انضباط من خلق ، ولا وازع من دين ، ولا استشعار بمسؤوليَّة . فلا يُستغرب أبداً -إن بقي الأمر على هذه الحال- أن تصل مجتمعات الإسلام في المشارق والمغارب في الإباحيَّة والتحلُّل إلى أسوأ مِمَّا وصلت إليه التجمّعات الغربية والشرقية على حدّ سواء))[1] .

وهذه الماديّة المطلقة من القيود ، والمجرَّدة من القِيم ، إنَّما أتت المسلمين من ذلك الإعصار الخطير الذي فرضته الحضارة الغربيَّة على مجتمعات المسلمين في صورة غزو فكريّ ، عزل أكثر المسلمين عن المفهوم الحقيقيّ للحياة ورسالتها ، وأسلوب العمِل فيها على النحو الذي جاء به الإسلام .

ولقد ازدادت ضراوة الماديَّة -التي مُجِّدَت ورُفِعَ من شأنها- ، حتى سيطرت على حياة البشر، وجعلَت كثيراً منهم يحسبون لها ألف حساب ، بل لقد خُيِّل لكثيرٍ منهم أنَّ الصراع بينها وبين الأديان قد انتهى بانتصار الأولى[2] ؛ فلقد أتلفت أو أفقدت الحضارة المعاصرة العقيدة في النفوس وفي الضمائر ؛ لقد أتلفتها لأنَّها اعتبرتها شيئاً تافهاً لا حاجة لنا إليه .

وإذا هُدِمَت العقيدة في النفوس ، فأيّ إسلامٍ يبقى ؟!

---

(١) الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات ، للدكتور عبد الله علوان ص ١٠٤ .

(٢) انظر القيم الخلقيَّة والروحيَّة وأثرها في تكوين الشخصيَّة، د.عائشة عبدالرحمن ص ٢٩٣.

ومن هنا ظهر بوضوح خطر "الغزو الفكريّ" ؛ لأنَّ فَصْمَ روابطِ الدين ومَحْوَه لا يتمَّان بهدم المساجد ، أو تمزيق المصاحف ، أو احتلال بلاد المسلمين عسكريًّا ، وسَجْن شبابهم أو قتلهم ؛ فالدين يكمن في الضمير ، والمطلوب : هدمُ الضمير الدينيّ ، ولا يُمكن ذلك إلا عن طريق "الغزو الفكريّ" .

والجامعة الإسلاميَّة في المدينة النبويَّة من منطلق حرصها واهتمامها ببناء العقيدة الإسلاميَّة وتصحيحها، ونشر القيم، وغرس الفضائل – فهي منذ أنشأها ملوك هذه البلاد أيَّدهم الله ، وتعاهدوا سقايتها ، تقوم بدورها على أكمل وجه– ، عقدت هذه الندوة المباركة ، واستكتبت لأجل هذا الموضوع الحسَّاس –تحصين شباب الجامعات ضدّ الغزو الفكري– الباحثين .

ورغبةً منِّي في المشاركة بهذا الموضوع الهامّ –بجهد المقلّ– ، شاركت بهذا البحث الذي انصبّ الحديث فيه على عددٍ من الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكريّ وسبل تلافيها . فهو في فصلَيْن ؛

أحدهما : في بيان الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكريّ .

والثاني : في سُبُل تلافيها .

ويسبق هذين الفصلين مدخلٌ ، أوضِّح فيه بإيجاز :

١– المراد بالغزو الفكري .

٢– وخطر الغزو الفكريّ .

٣– وأُبيِّن –بإيجاز أيضاً– مَنْ هو المتأثِّر الأوَّل بهذا الغزو ؟

فالله المستعان ، وعليه التكلان .

تمهيد

لا بُدَّ قبل الدخول في صميم الموضوع من تسليط الضوء على بعض النقاط التي تُعتَبر بمثابة تمهيدٍ ضروريّ له .

وهذه النقاط ثلاث ؛ إحداها : الغزو الفكري ، والمراد به ، والثانية : خطر الغزو الفكري ، والثالثة : مَنْ هم المتأثّرون بالغزو الفكريّ ؟

وتسليط الضوء على هذه النقاط يُمكن من خلال المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول : المراد بالغزو الفكريّ :

يُقصد بـ"الغزو الفكريّ": تلك الوسائل غير العسكريَّة التي اتّخذها العدو لإزالة مظاهر الحياة عند الخصم ، وصرفه عن التمسُّك بعقيدته ودينه وما يتّصل بهما من أفكار وقِيم وتقاليد وأنماط وسلوك .

ولقد كان أعداءُ الإسلام -في الماضي- يُحاولون السيطرة على بلاد المسلمين واستغلالها أرضاً وبشراً، ثمّ محاربة العقيدة، ومحوها من القلوب .

لكنَّهم أخفقوا في ذلك ، ولم يتحقَّق لهم مرادهم .

لذلك عمدوا إلى محاربة الإسلام حرباً خفيَّة بالعلم والغزو الفكريّ ، بعد أن فشلوا في حربه بالحديد والنَّار . فحروبهم قد استمرَّت ، ومخطئٌ من يظنّ أنَّها قد انتهت. لكنَّها أخذت أشكالاً مختلفة ، وألواناً متعدِّدة ، واستُعْمِلَ فيها أسلحة جديدة،حُورِبَ بواسطتها الإسلام وحقائقه الناصعة.

المطلب الثاني : خطر الغزو الفكري :

يكمن خطر الغزو الفكري في تلك المخططات التي يضعها أعداء الإسلام ، كي يُحاربوا الإسلام من خلالها .

ومن أشدّ خطط الغزو الفكري خطراً : إنشاء المذاهب والمبادئ الهدَّامة ؛ كالماسونيَّة، والبهائيّة، والقاديانيّة، وغيرها، ثمّ إشغال المسلمين بها، وإخراجهم من دينهم بواسطتها .

وكذا إنشاء الأحزاب السياسيَّة المتنافرة ، والتيارات المختلفة المبادئ والاتجاهات ؛ كالقوميَّة ، والاشتراكيَّة ، والفلسفة الماركسية الملحدة "الشيوعيَّة" التي تقوم على أساس إنكار ما ليس بمحسوس، وإثارة الفتن الطبقية بين الشعوب.

وقد سلَّم أعداء الإسلام زعامة هذه الأحزاب لأشخاصٍ فارغين، يُوجَّهون من قبلهم في الشرق والغرب، فعملوا على إلغاء الشريعة الإسلاميَّة في أكثر بلاد المسلمين، واعتماد القوانين الوضعيَّة الغربيَّة ، وبناء النّظم التعليميَّة على أساس النظريَّات الغربيَّة. وخيوط المؤامرة التي نسجها أعداء الإسلام، لغزو المسلمين فكرياً يُمكن أن تُلخَّص في النقاط التالية :

أولاً : أوجد أعداء الإسلام فرقاً وجماعات هدَّامة، انتسبت –زوراً وبهتاناً– إلى الإسلام ، وكانت تهدف إلى القضاء عليه من الداخل .

ومن هذه الفرق والجماعات الهدَّامة : القاديانيَّة ، والبهائيَّة ، وغيرهما[1] .

وكان الهدف من إيجاد أمثال هذه الفرق والجماعات :

(١)– ضرب الإسلام كعقيدة ، وشريعة ، والقضاء عليه ، وتشويه مبادئه في عقول المسلمين .

---

(١) انظر "احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام"، د. سعد الدين صالح ص٢٥٧ .

(٢)- إسقاط شريعة الجهاد التي أقضَّت مضاجع المستعمرين،وذلك يعتبر ضماناً لاستمرار احتلال أعداء الإسلام لبلدان العالم الإسلامي .

(٣)- إشاعة الفرقة الفكرية بين المسلمين ، وشغلهم بالردّ على بعضهم ، واستنفاد قوتهم في الجدل والمناقشات .

(٤)- نشر العقائد الباطلة بين المسلمين .

ويتضح هذا الهدف ، إذا عُلِمَ أنّ هذه الجماعات الهدَّامة قد تبنَّت كثيراً من عقائد النصارى ، واليهود ، والماركسيّين ، وغيرهم من أعداء الدين ، ثمّ عملت على بثِّها بين أبناء المسلمين .

(٥)- أن تعمل هذه الفرق -سيّما البهائيَّة- كجناح آخر للحركة الماسونيَّة الصهيونيَّة ، التي تحاول تحقيق السيطرة العالمية لليهود[1] .

(٦)- إشاعة نظرية وحدة الأديان[2] بين أبناء المسلمين .

.... إلى آخر الأهداف الكثيرة التي حرص أعداء الإسلام على تطبيقها من خلال تلك الفرق والجماعات الهدَّامة التي أوجدوها .

ثانياً : أثار أعداء الإسلام النعرات القوميَّة والعرقيَّة بين أبناء الأمَّة المسلمة ، لتمزيق الوحدة الإسلاميَّة التي تُفزعهم وتقضّ مضاجعهم .

والتيَّارات القوميَّة التي جلبها أعداء الإسلام من ديارهم ، وفوَّضوا أمر نشرها لنصارى العرب، ثمّ لأذيالهم -ممّن دفعهم الإعجاب بأساتذتهم إلى

---

(١) انظر المرجع السابق .

(٢) وممّن عمل على نشر هذه النظرية : فرقة البهائيّة ، وغيرها . ونظرية وحدة الأديان من أهمّ المبادئ التي نادى بها البهائيُّون .

التنكُّر لدينهم-، خير دليل على سعي أعداء الله لتمزيق وحدة أمّتنا الإسلاميَّة .

ويزداد اليقين بصحة المذكور آنفاً ، حين سماع تصريحات وزير المستعمرات البريطانية " أورمس غو" ، التي جاء فيها : ((إنَّ الحرب علّمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره، وتُحاربه. وليست إنجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك، بل فرنسا أيضاً . ومن دواعي فرحتنا أنّ الخلافة الإسلامية زالت ؛ لقد ذهبت، ونتمنّى أن يكون ذلك إلى غير رجعة . إنَّ سياستنا تهدف دائماً وأبداً إلى منع الوحدة الإسلاميَّة ، أو التضامن الإسلامي ، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك))[١] .

ويزول العجب من هذا التصريح إذا علمنا أنَّ القوميَّة التي جلبها أعداء الله إلى بلاد المسلمين ، وفوّضوا أمر نشرها إلى نصارى العرب : كانت من أسباب سقوط دولة الخلافة الإسلاميَّة ؛ فحين تلاشت الوحدة الإسلاميَّة ، وحلَّت محلّها تيارات قوميَّة عملت على النخر في جسد الأمَّة من الداخل، تمزّقت أوصال الدولة الإسلاميَّة، لتسقط الخلافة في النهاية[٢] .

ثالثاً : تمجيد وإحياء الحضارات القديمة ؛ الآشوريّة ، والفينيقيَّة ، والفرعونيَّة ، وتسليط الأضواء عليها .

---

(١) نقل هذه التصريحات : الشيخ محمد الغزالي في كتابه "هموم داعية" ص ٩٤ .

(٢) انظر كيف يُحطِّم المسلمون قيد التبعية والحصار لأنور الجندي ص ٧٩-٨٢ .

وهي محاولة من أعداء الإسلام، كي ينبهر الشباب المسلم بهذه الحضارات ، وينسى حضارته الإسلاميَّة الأصيلة، التي طمس الأعداء عن الشباب أخبارها، وشوّهوا حقائقها ؛ بحيث عميت عن الشباب أنباؤها ، فلم يفتح عينيه إلا على حضارات أعداء الإسلام وأمجادهم .

رابعاً : استهدفت المؤامرة على الإسلام أيضاً : انبعاث الفكر الصوفي الفلسفيّ ، والفكر الباطني الوثني .

فأعداء الإسلام قد عرفوا ((أنَّ الحصن الحصين في حياة الأمَّة الإسلاميَّة ؛ وجودها، وقيامها، وبنائها ، واستمرارها ، هو "الإسلام" بمفهومه الجامع : منهج حياة ، ونظام مجتمع ، القائم على التوحيد الخالص ، الذي لا تشوبه شائبة ، وبمفهوم رسالة الإنسان في الأرض، لبناء المجتمع الإسلامي، ومسؤوليته الفردية ، والتزامه الأخلاقي ، وإيمانه بالبعث والجزاء ، وعقيدته الجامعة التي تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والتي تؤمن بأنّ الأمور كلّها بيد الله ، وأنَّه خالق كلّ شيء ، ومدبِّر كلّ شيء))[1] .

من أجل ذا، عمد أعداء الإسلام إلى نشر الأفكار الباطنية، والصوفيّة من جديد، لتعمل تلك العقائد المنحرفة على تدمير الإسلام، وتحطيمه، وإزالته.

وليس هذا الانحراف في الاعتقاد داخليّ المصدر، بل هو مستمدّ من مفاهيم الأديان السماويَّة المحرَّفة ، والمذاهب الأرضية الوضعيّة :

---

(١) المرجع السابق ص ٦٥ .

فنظريات : "وحدة الوجود" ، و"الحلول" ، و"الاتحاد" ، و"الفناء" ، و"التناسخ" ، و"الإباحيّة" هي في مجموعها مفاهيم دخيلة على الفكر الإسلاميّ الأصيل ، ومستمدة من الفكر الفلسفي اليهودي، والنصراني، واليوناني ، والمجوسي ، والبوذي ، والهندوسيّ .

وغرض أعداء الإسلام من نشر هذه النظريات الإلحادية بين المسلمين : زلزلة مفهوم التوحيد الأصيل، وإيجاد جوّ من الشك والريب في قلوب المؤمنين ؛ لزحزحتهم عن أصول عقيدتهم السمحة القرآنيَّة الربَّانيَّة ، القائمة على الفطرة السليمة ، البعيدة عن التعقيدات والتناقضات[١] .

فأعداء الإسلام حاولوا أن يُطبِّقوا مفاهيم الأديان الأخرى عليه ، وتناسوا أنّ الإسلام يختلف عن هذه العقائد التي قد أصابها التحريف ، أو وضعها البشر لأنفسهم؛ إذ التوحيد في الإسلام هو الأساس الأوَّل لهذا الدين،وهو أيضاً المحرِّك الرئيس لكلّ ما يصدر عنه من معتقدات، وشرائع، وأفكار[٢] .

خامساً : نشر الكثير من الأفكار المشوّهة عن الإسلام، وتاريخ المسلمين ، وإثارة الشبهات حول عقائد الإسلام ، وشرائعه ، ونظمه ، وتزييف الحقائق الدامغة التي انطلق منها هذا الدين .

وهذه المؤامرة من آثار دسائس المبشرين ، والمستشرقين ، والمستعمرين ضدّ الإسلام، ومن ورائهم كيد يهوديّ يعمل في الخفاء لمصلحة نفسه ،

---

(١) انظر المؤامرة على الإسلام لأنور الجندي ص ٤٦ .

(٢) انظر الإسلام والدعوات الهدَّامة لأنور الجندي ص ٢٧٣

ويستغلّ جهود كلّ مفسدٍ ؛ يتسمَّى باسم الماسونيَّة تارةً ، وباسم الصهيونيَّة أخرى .

ومع هؤلاء في الغزو الفكري للمسلمين: الشيوعيّون، والمنافقون، والملحدون، وسائر الكفرة بالله واليوم الآخر .

وقد وفد بعض هؤلاء إلى بعض ديار المسلمين ، وفي حقائبهم تعليمات مكتوبة، وغير مكتوبة، تُحمِّلهم مهمّات متعدِّدة، من أخطرها : هدم الإسلام في عقائده ، وعباداته ، ونظمه ، وأخلاقه[1] .

ومن أهداف الغزو الفكري : وضع حواجز نفسيَّة ، وأخرى فكريَّة بين القراء الغربيِّين وبين الإسلام ، تحول بينهم وبين الدخول فيه ، تتهجَّم على الإسلام ، وتصفه بصفاتٍ مشينة، تنفِّر غير المسلمين من الدخول فيه.

وتتضح الحقيقة إذا علمنا أنّ هناك - في ديار الكفَّار - كليّات قائمة ، تدرِّس الإسلام بغرض الطعن فيه، وتشويه صورته النقيَّة في أعين دارسيه.

ومن يدرس من أبناء المسلمين في تلك الكليَّات الاستشراقيَّة –في الغالب الأعمّ– ، يعود إلى دياره وقد تشرّب تلك الأفكار التي درسها ، وتأثَّر بتلك الشبهات التي طُرحت عليه حول الإسلام ، ونبيِّه ، وعقائده ، وشرائعه ، ونظمه ، وأخلاقه ؛ فيعود ناشراً لتلك الشبهات التي لقنه إياها أعداء الإسلام بين أبناء المسلمين .

سادساً: الهجوم المباشر على عقائد الإسلام، وأخلاقه، وقيمه، ولغة القرآن .

(١) انظر أجنحة المكر الثلاثة للميداني ص ٣٧-٣٨ .

ولربّما عدَّ البعض هذا الهدف مع سابقه واحداً ، لكنّ المتأمِّل في الهدفين يلمح هجوماً غير مباشر في أولهما ، وهجوماً مباشراً في الثاني .

وهذا الهدف –في الغالب– يقوم به قومٌ من أبناء جلدتنا، يتكلّمون بألسنتنا، تربّوا في أحضان أعدائنا، ودفعهم الإعجاب بهم إلى اعتناق آرائهم ومبادئهم، ثمّ رجعوا إلى بلادهم ليعملوا على تشويه معتقداتنا، وطمس قيمنا، وهدم أخلاقنا .

يتحدَّث الأستاذ أنور الجندي عن هذا الهدف الخطير ، فيقول : ((وتحاول حركة المؤامرة على الإسلام اليوم أن تتّبع نفس الأساليب القديمة ؛ فهي تُهاجم أصول القيم الإسلامية، وجذور المفاهيم الأساسيّة، وتُهاجم تاريخ الإسلام، واللغةَ العربية، وتدعو إلى تفسخ القيم الأخلاقية الإسلامية، بالدعوة إلى إذاعة المجون، والمجاهرة بالخلاعة، والانحراف الجنسي؛ وهو نفس الأسلوب الذي اتخذته حركة احتواء الإسلام، وكان ذلك في الماضي لحساب المجوسيَّة الفارسيّة؛ لتمكين القرامطة والباطنية، والسيطرة على الدولة الإسلاميَّة . واليومَ يجري نفس المخطط لحساب الصهيونيَّة، والاستعمار، والشيوعيَّة))[1] .

فالقوى الحديثة التي تُهاجم الإسلام ، اتحدت في الهدف مع القوى القديمة ، واختلفت في المسمّيات ؛ فالهدف واحدٌ للجميع ؛ وهو النيل من الإسلام ، وإسقاط دولته .

(١) المؤامرة على الإسلام لأنور الجندي ص ١٠ .

ويقف وراء هذه القوى -في عصرنا الحاضر-: أعداء الإسلام من النصارى الذين يحملون خصومة الدين ، ويطمعون في السيطرة الاقتصادية على بلاد المسلمين، ويُضمرون في أعماقهم كراهية ضخمة للإسلام والمسلمين . ويؤازرهم في العمل على تحقيق هدفهم : الصهيونيَّة الطامعة في السيطرة على العالم ، والشيوعيَّة الإلحاديَّة التي كانت تُحاول السيطرة على الأمم باسم مقاومة الأديان ، وهدم الأخلاق .

ويعمل أذنابهم في بعض بلاد المسلمين على تحقيق أهدافهم ؛ عن طريق :

(١)- السيطرة على برامج التعليم في تلك البلاد ، ومن ثمّ توجيه التعليم توجيهاً علمانياً لا يؤمن بدين ، ولا يُصدِّق برسول ، وينطلق نحو الإلحاد والفساد ، ويُمجِّد الثقافة الغربيَّة .

(٢)- السيطرة على الإعلام، والقيام إثر ذلك بنشر المجلات الخليعة ، والتمثيليّات المسمومة ، والأفلام الهابطة ، والروايات الماجنة .

(٣)- الوصول إلى مناصب حسَّاسة تُسوِّغ لهم سنّ القوانين والتشريعات التي تُخالف الشريعة الإسلاميَّة ، والعمل بعد ذلك على إلغاء المحاكم الشرعيّة، ودور الإفتاء، والسيطرة على الأوقاف الإسلاميّة.

ونتيجة هذه المؤامرات الخطيرة ، صار العالَم الإسلاميّ اليوم يموج بتيَّارات فكريَّة متعدِّدة في الاتجاهات، ومختلفة في الأهداف، ومتنافرة في المنهج والمضمون، وغَزَتْهُ من أقصاه إلى أقصاه نظريَّات الغرب ومبادؤه وأفكاره، بقيمٍ ومبادئ لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، لتهدِم قِيَم الإسلام ومُثُلَه، وتُبعِدَ أبناءه عن مبادئه وأخلاقه التي فيها عزّته ، وعليها وجوده وبقاؤه.

المطلب الثالث : مَنْ هم المتأثِّرون بهذا الغزو ؟

مِمَّا لا ينتطح فيه عنزان ، ولا يكاد يتنازع فيه اثنان ، أنَّ الإسلامَ ، وشبابَه ، وعقيدتَه هم أوَّل المستهدفين بهذا الصراع ؛ فإنَّ أخطر الأخطار التي تُواجه المسلمين اليومَ هو حملُهم على قبول ذهنيَّة الاستسلام والاحتواء، وقَسْرُهم على التحرُّك داخل دائرة الفكر الوافد الغريب عن دينهم وقِيَمِهم.

والمتأثِّر الأوَّل بهذه المفاهيم والأفكار التي صدَّرها أعداء الإسلام إلى بلاد المسلمين، هم شرائحُ عديدةٌ من الشباب حديثي السنّ، ومن ضعاف الهمَّة في أخذِ أحكام الشرع ، ومن أتباع التقليد والرغبةِ في كلّ جديد .

ونسبة الشباب في البلاد الإسلاميَّة لبقية السُّكَّان تُشكِّل نسبة مرتفعة ، فهم ٦٥٪ من سكَّان الكويت، وأقلّ من ذلك قليلاً في الدول الإسلاميَّة الأخرى[1]. وعددهم تجاوز الـ٦٠ مليوناً في البلاد العربيَّة وحدها .

فهم أكثر شرائح المجتمع ، وأشدُّها تأثُّراً بالغزو الفكريّ؛ لأنَّ مرحلة الشباب هي مرحلة البناء الفكريّ والنموّ العقليّ -مرحلة التأثُّر والتأثير- ، فيحصل له تقلّبات سريعة ، ويَرِد على قلبه من المشاكل الفكريَّة والنفسيَّة ما يجعله في قلقٍ من الحياة، بل قد يصل إلى مرحلة يقبل فيها كلّ ما يُلقى إليه من أفكار، خاصَّة إذا لم يُتابع ويُوجَّه من قِبَل أُسرته ومجتمعه ، وإذا لم تُهيَّأ له أسباب ضبط النفس وكبح جماحها .

لذلك كلِّه كان الشباب هدفَ كلِّ غازٍ ، ومطمعَ كلِّ دعوة ، وضحيَّةً لأيِّ انفتاح مُغْرِض . يقول الأستاذ أنور الجندي : ((إنَّ الشباب هو

---

(١) انظر الشباب وقضاياه المعاصرة ، للدكتور إبراهيم الجوير ، ص ١٣-١٤ .

الطور الحاسم في حياة الإنسان ، وهو الدور الذي تنبني فيه كلّ العقائد والمُثُل ، وتتشكَّل فيه النفس الإنسانيَّة والعقل البشريّ ، بحيث تكون متأهِّبةً لأداء دورها في حمل أمانة الحياة ومسؤوليَّة المجتمع))[1]

فإذا فقَدَ الشـاب الهدفَ والانتماء ، ((تحوَّل إلى طاقات مبعثرة ، تُبدَّدُ في فراغ، وتُستهلك في غير المواقع الصحيحة، وتنتهي إلى الحيرة والقلق والتمزُّق والعدميَّة، وعاشَ حالةً من الضياع تُسهِّل على الأعداءِ احتلالَ نفسه وعقله وروحه وأرضه ، وإذا فَقَدَ الالتزامَ والانضباطَ بالمُثُل التي يؤمن بها، انقلبَ إلى شرّ محض يُدمِّر نفسه وأمَّته))[2] .

والشباب أعزّ رصيدٍ في ميزانيَّة الأمَّة، فإذا فَقَدَ عقيدَته، فلا تطيب له حياة، ولا تستقيم أموره، بل يجذبه التيَّار حيث سار ؛ فهو متشدّد طوراً، ومتردِّد مرة ، ومتبدِّدٌ أخرى، وهو بين هذه التقلُّبات مضيّعٌ قليلَ الخيرِ لنفسه ومجتمعه ، بل ربَّما صار وبالاً عليه ، وداء خطيراً ينخر في جسده .

وإنَّ خراب الديار أسهلُ ألف مرَّة من خراب الإنسان ؛ فالعاصفة الترابيَّة العاتية يُمكن علاج آثارها بمرور الوقت والزمن ، مهما دمَّرت من بيوت ، أو اقتلعت من أشجار ، أو زعزعت من أركان . أمَّا العاصفة التي تُدمِّر الإنسان من داخله ومن أعماقه ، وتضربه في عقيدته ووجدانه ، فإنَّها إذا هبَّت فلن تبقي ولن تذر ، بل ستُحوِّل النَّاس وخاصَّة الشباب إلى

---

(١) انظر دراسات إسلامية معاصرة –دراسة عن الشباب– ص ١٣٣ .

(٢) مشكلات الشباب : الحلول المطروحة والحلّ الإسلامي للدكتور عباس محجوب ص ٨–٩ . وانظر الشباب : دراسات ولقاءات للأستاذ أحمد محمد جمال ص ٧–١١ .

مسوخ مشوَّهة ، وأشباح تائهة ، وفقاعات بشريَّة تنفجر من أوَّل نفخة ، وتتلاشى من أضعف لمسة .

فموضوع الشباب من المواضيع الخطيرة التي ينبغي أن تُجنَّد الجنود، وتُصرَف النقود ، وتُكتب البحوث ، ويُستشار أولو الرأي والعلم لأجله ؛ فهو يتعلَّق بأغلى ثروة للأمَّة ؛ إنَّه يتعلَّق بسند الأمَّة وثروتها في حاضرها ، وذخرها وأملها -بعد الله ﷻ- في مستقبلها . فإذا أُحسن إعداد الشباب وتأهيلهم ليكونوا من أهل الخير والصلاح في الدنيا والآخرة على السّواء ، تكون الأمَّة قد صنعت شيئاً عظيماً لنفسها في حاضرها ومستقبلها .

ومن هنا أدرك أعداء الإسلام أهميَّة الشباب، فخاطبوهم بوسائل خبيثة فجَّرت غرائزهم -حتى أخذوا يبحثون عن سبل غير شرعيَّة لتصريفها-، وبثَّت الاغتراب بين صفوفهم، فرفضوا ثقافتهم الإسلاميَّة، وشعروا بفقدان ذاتهم، وذابت هويّتهم، وارتبط بذلك شعورهم بالوحدة، وفقدان الإحساس بتكامل الشخصيَّة مِمَّا أدَّى إلى انحلال أكثرهم ، وتفكّكهم ، وتسيّبهم .

وقد دخل الأعداء إلى الشباب من ثغرات متعدِّدة ، تسلَّلوا منها ، وأخذوا يبثُّون سمومهم من خلالها . وبيان بعض هذه الثغرات في الفصل التالي بحول الله .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

بيان الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكريّ

إنَّ أعداء الإسلام عدلوا عن مواجهتهم العلنيَّة للإسلام إلى المخاتلة والمراوغة باسم العلم حيناً عن طريق المستشرقين، وباسم الهداية أحياناً عن طريق المتحلِّلين والمنحرفين؛ فالأوائل زرعوا الشكوك في العقل الإسلاميّ، وبثُّوا الفرقة في الصفّ الإسلاميّ؛ والأواخر أشاعوا الانحلال الأخلاقي في الفتيان والفتيات ، وزيَّنُوا لهم الخروج على آداب الإسلام وأخلاقه بحجَّة أنَّها رجعيَّةٌ وتخلُّف، وسهَّلوا عليهم الانصرافَ إلى العبث واللهو والانحلال بحجَّة أنَّه مدنيَّةٌ وتحضُّر .

ولقد استطاع أعداء الإسلام الوصول إلى المجتمع الإسلاميّ وشبابه وفتياتِه عن طريق ثغرات متعدِّدة تسلَّلوا من خلالها ، أُعرِّج على بعضها في المباحث التالية :

المبحث الأول : المسلمون المقيمون بين أظهر غير المسلمين .

المبحث الثاني : غير المسلمين المقيمون بين المسلمين .

المبحث الثالث : المدارس والجامعات الأجنبيَّة في بلاد المسلمين .

المبحث الرابع : الخادمات والمربِّيات الأجنبيَّات .

المبحث الخامس : وسائل الإعلام .

المبحث السادس : المؤتمرات العالميَّة .

وبيان هذه الثغرات ، مع دورها الخطير ، سيكون عند تناولها ، كلّ واحدة على حدة ، في المباحث التالية .

المبحث الأول : المسلمون المقيمون بين أظهر غير المسلمين

يقوم أعداء الإسلام بغزو عقول المسلمين، عن طريق بعض المسلمين المقيمين في بلادهم بقصد التعليم ونحوه .

فالبعثات الطلابيَّة إلى البلاد الأوروبيَّة أو الأمريكيَّة، وسفر الشباب إلى تلك البلاد التي انحلَّت أخلاقيًّا قبل أن تَرْسَخ عقيدتهم، وتقوى جذورها، يجعلهم مرتعاً لأعدائهم، يبثُّون فيهم أفكارهم، وينفثون سمومهم، وينهشون دينهم وأخلاقهم ، حرصاً منهم على هدم بنيان الأمَّة الإسلاميَّة .

فينشأ عن ذلك محاكاة هؤلاء الطلبة -المسلمين- لأبناء الغرب في حرّيتهم -المزعومة-، وفجورهم وفسقهم ، وينقلون عاداتهم إلى بلاد المسلمين الطاهرة .

وبعضُ هؤلاء العائدين من الغرب هم عادةً أكثر فئات المجتمع ارتباطاً به ؛ فلقد تعلَّموا في جامعاته ، وتشرَّبوا قيمه واتجاهاته[1] .

وسبب ذلك : فراغُهم من الثقافة الدينيَّة التي تُحصِّنهم ضدّ الموجات التغريبيَّة ، فيتأثَّرون بأفكار أعداء الإسلام ، ومن ثمّ يتطبَّعون بطباعهم ، ويتخلَّقون بأخلاقهم ، حتى يصير التطبُّع مع الزمن طبعاً، وينسلخون -من حيث لا يشعرون- من كلِّ أدبٍ دعا إليه الإسلام ، ويتحرَّرون من كلِّ أخلاقيَّة أمر بها الدين ، ويتركون تقاليدهم في الملبس والمأكل والمشرب ، ويغدون غربيِّين أو شرقيِّين ، ربَّما أكثر من الغربي ، أو أكثر من الشرقيّ .

---

(١) انظر العولمة الغربيَّة والصحوة الإسلاميَّة ، د . عبدالرحمن الزنيدي ، ص ٤٧-٤٨ .

ولقد نجح مخطّط أعداء الإسلام إلى حدٍّ كبير ، حين خرَّجوا من جامعاتهم من أبناء المسلمين من لا يعرف الإسلام ، أو لا يعرف منه إلا الشبهات التي تُثار ضدّه . وقد انتقوا أعداداً من هؤلاء الخريجين رأوهم طوع أمرهم ، وأقرب إلى تنفيذ أغراضهم ، فعملوا على الدعاية لهم كي يتبوَّؤوا المناصب ، ويكبروا في بلادهم حتى يصلوا إلى مراكز القيادة[1] .

فأعداء الإسلام عَمَدُوا إلى فتح أبواب جامعاتهم أمام هؤلاء الشباب ، بل وافتتحوا في جامعاتهم الكبيرة أقساماً للدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة ، تولَّى التدريس فيها عددٌ من الحاقدين على الإسلام من اليهود والنّصارى ، الذين أخذوا على عاتقهم تغيير فكر وعقيدة أولئك الشباب ، عن طريق تشكيكهم في معتقداتهم، وإغرائهم باتباع الثقافة الغربيَّة، بحيث يعودون إلى بلدانهم محمَّلين بالشبهات على الإسلام ، مع الإعراض عن مصادر الثقافة الإسلاميَّة -الكتاب والسنَّة والتاريخ الإسلامي-، والإقبال بالوجه والفؤاد على المصادر الغربيَّة دراسةً وتصديقاً وعملاً بما فيها من مفتريات ودسائس .

يقول الدكتور إبراهيم إمام[2] -لَمَّا سُئل : هل تُؤيِّدون ابتعاث أبناء المسلمين لدراسة العلوم الاجتماعيَّة وغيرها في الدول غير الإسلاميَّة- : ((لا أُحبِّذ ابتعاث أبناءَ المسلمين إلى الدول غير الإسلاميَّة، سواء الدول

---

(١) لم يعد يخفى على أحد أن "اليونسكو" إحدى مؤسّسات الأمم المتحدة ، والتي تقوم بتقديم المعونات الثقافية والتربويَّة ، تشترط لتقديم معوناتها أن تُوافق -هي- على وزراء التربية المعيَّنين في البلدان التي تُريد أن تُقدِّم لها مساعداتها .

(٢) أوَّل عميدٍ لكليَّة الإعلام في جامعة الأزهر .

الشيوعيَّة أو الدول الغربيَّة لأنَّ دراسات العلوم الاجتماعيَّة وغيرها في هذه المجتمعات ترتكز على أُسس وفلسفات غريبة عن الإسلام ، بل معادية له . وأسوق هنا بعض التجارب من خبراتي في الجامعات ؛ فقد كُنَّا نُرسل بعض الطلاب إلى موسكو والدول التي تسير في فلك الاتحاد السوفياتي مثل بولندا ورومانيا والمجر وغيرها، فكان المبتعثون من المسلمين يُجبَرون على دراسة النظريَّة الماركسيَّة اللينينيَّة باعتبارها القاعدة الفكريَّة والمنطلق القيمي لدراسة الإعلام أو غيره من العلوم الاجتماعيَّة؛ كالاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا وغيرها . أمَّا الطلاب المبتعثون إلى الدول الغربيَّة مثل الولايات المتحدة الأمريكيَّة ، ودول غربي أوروبا ، فلا بُدَّ لهم من دراسة الفلسفة "البرجماسيَّة" "فلسفة الذرائع"، وفكر "جون ديوي" خاصَّة في التربية ، فضلاً عن الاتجاهات الليبراليَّة الحُرَّة القائمة على مذهب الحريَّة المرسلة واللَّذَّة والرغبة ، ووضع القوانين العلميَّة على أُسس من الأهواء الشخصيَّة والأفكار المُعادية للإسلام . فهل نُغامر بتعريض أبنائنا لهذه الأفكار والمذاهب الغريبة عنَّا ، والمعادية لنا ؟))[1] .

والتاريخ يضرب لنا أمثلة عن نوعيَّات من الرجال، ذهبوا إلى الغرب ، وعادوا إلى بلادهم أبواقاً للآراء المنحرفة ، ودعاةً لِما رأوه وشاهدوه من قيم هابطة، وتقاليد بغيضة. فهذا "رفاعة رافع الطهطاوي" الذي ابتُعث إلى

---

(١) الإعلام الإسلامي في حوار مع الدكتور إبراهيم إمام ، حوارٌ نشرته مجلة الأمة ، العدد السابع والأربعون ، ص ٥٤ .

"باريس" لمدَّة خمس سنوات ، ثمّ رجع منها إلى مجتمعه المسلم : يُصرِّح أنَّ الرقص الغربي المختلط -الذي تختلط فيه الأنفاس، وتتلاصق الأجساد-لون من العياقة والشلبنة "أي الفتوّة"، ويُنادي بالفرعونيَّة بديلاً عن الإسلام[1] .

وبعد "رفاعة" : "طه حسين" الذي رجع من بلاد الغرب ، ليؤلِّف كتباً ملأها ضلالاً وإضلالاً وإلحاداً، مثل:"مستقبل الثقافة في مصر"، و"مرآة الإسلام"، و"الشعر الجاهليّ" ، وغيرها ؛ هاجم فيها الإسلام وقيمه وتاريخه ورسوله ﷺ . قال عنه الشيخ محمَّد الغزاليّ : ((وظاهرٌ أنَّ الدكتور طه حسين كان ترجماناً أميناً لأهداف لم تعُد خافية على أحد ، عندما طالب بإقصاء الإسلام وأخلاقه وأحكامه، وعدم قبوله أساساً تنطلق الأمَّة منه، وتحيا وفق شرائعه وشعائره))[2] .

ومع "طه" في هجومه على الإسلام : "قاسم أمين" الذي نادى في مصر بتحرير المرأة من سلطان الحجاب ومن آداب الإسلام .

ولا ننسى "محمد أركون" الجزائريّ الذي ذهب إلى فرنسا فـ"تفرنس"، وحصل على رتبة "فارس" من الكنيسة الفرنسيَّة. ثمّ عاد يطعن في القرآن الكريم ويُهاجم الإسلام، ويدعو إلى إحداث تطوّر فيه على غرار المسيحيَّة. وقد بلغ من خبثه أنَّه يتّهم المستشرقين المنصفين للإسلام بأنَّهم لم يفهموا

---

(١) انظر كتاب الشباب المسلم في مواجهة التحدّيات ، لعلوان ، ص ١٥٠ .
(٢) عندما يكون الإلحاد أذكى ، للشيخ محمد الغزالي ، مقال نشرته مجلة الأمة ، العدد الثاني والثلاثون ، ص ٨ .

الإسلام ، وبأنَّهم يخدعون المسلمين عن حقيقة دينهم . ولِـ"أركون" تلامذة وأتباع تخرَّجوا من "السوروبون" وعملوا فيها معه ، وبعضهم وصل إلى منصب "رئاسة التحرير" في عددٍ من صحفنا الإسلاميَّة والعربيَّة[1] .

وغيرهم كثير ، مِمَّن لم تكن ثقافتهم ولا تربيتهم إسلاميَّة[2] ، ولا زالوا إلى اليوم ينفثون سمومهم ، تحت أسماء "التحديث" ، و"العصرنة" ، و"الحضارة" ، و"الاشتراكيَّة" ، و"العلمانيَّة" ، وغيرها .

ولا ننسى أن نُشير إلى خطر الابتعاث إلى البلاد الشيوعيَّة ليتعلَّم الطلاب هناك، ويعود أكثرهم وقد أشهروا سيف المحاربة على دينهم وقيمه ، ورفعوا شعارات الشيوعيَّة التي تدعو إلى محاربة الأديان ، والتنكُّر للذات الإلهيَّة، وشيوعيَّة المال، وهدم كيان الأسرة، وهدر المُثُل والأخلاق الحميدة.

ويزداد الإحساس بهذا الخطر عند العلم بأنَّ الآلاف من الطلبة المسلمين يُرسلون إلى الدول الشيوعيَّة، ليدرسوا هناك جوانب مختلفة من الاختصاصات.

فالصومال وحدها تُرسل الألوف من أبنائها إلى تلك الدول لدراسة بعض العلوم والمعارف . والعجيب أنَّ الدول الشيوعيَّة والاشتراكيَّة تُركِّز على النوابغ والأذكياء من أبناء المسلمين ، فتطلبهم ليدرسوا عندها .

يقول الدكتور محمد لطفي الصبَّاغ : ((وحَدَثَ أنِّي منذ عشر سنوات[3] اجتمعتُ في الطائرة بشاب من بلد عربيّ ، يتوقَّد ذكاء ، قصَّ

---

(١) انظر كتاب الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل ، لعويس ، ص ٧٣ .

(٢) انظر أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، لجريشة والزيبق ، ص ٦٥ .

(٣) قال هذا الكلام قبل عشرين سنة من الآن ، فالإشارة إلى ثلاثين سنة مضت .

عليٍّ قصَّة دراسته وخلاصتها: أنَّه كان الأول في امتحان الشهادة الثانويَّة ، فاتّصلت دولة من الدول الاشتراكيَّة بوزارة التربية في ذلك البلد ، وعرضت عليها الرغبة في أن تُعطي هذا الطالب الذكيّ منحة دراسيَّة في أيّ فرعٍ نادرٍ من فروع التخصُّص يرغب فيه، وذهب إلى الدراسة، ولكنَّه -كما بدا من حديثه- لم يتلقَّ العلم فقط هناك، وإنَّما تلقَّى الفكر الشيوعيّ الماركسيّ، وأصبح من المؤمنين به، المدافعين عنه))(1) .

والحقّ أن التعلُّم في بلاد الشيوعيَّة خطيرٌ جدًّا ؛ فالطالب الذي يذهب إلى تلك البلاد يُواجَه بسلسلة من الشبهات والشهوات على أيدي الملحدين بشكلٍ منظَّمٍ ، ويخضع لبرنامج معيَّن وخطط مدروسة لإفساده وزعزعة إيمانه ؛

فالمساكن الطلابيَّة المعدَّة له مختلطة -الطوابق السفلى للزميلات، والعليا للزملاء-، وفيها يتمّ الوحدة والاندماج، وتُطبَّق الاشتراكيَّة والشيوعيَّة بين الجنسين، ويُصبح كلّ شيء مباحاً ، وتنزوي الأخلاق والمُثُل لكي لا تُعيق التقدُّم والتطوّر.

ولكلّ مجمع سكنيّ مسؤولٌ من طرف الحزب الشيوعيّ يُتابع تصرّفات الطلبة المسلمين ، ويُسجِّل مدى تفاعلهم مع ما حولهم .

ولن ينجح هذا المسؤول في مهمَّته ما لم ير الطالب المسلم وهو يترنَّح من السّكر ، أو ممسكاً بصديقته من وسطها ، وإلا فعليه استعمال كلّ الأساليب لإيقاع هؤلاء الطلبة في حبائل بناتهم العاهرات .

---

(1) **الابتعاث ومخاطره ، لمحمد الصباغ ، ص ٤ .**

والطالب المسلم يخضع في تلك البلاد لمعسكر عمل إجباري مدّته شهرٌ من كلّ عام. وتمتدّ فترة المعسكر في سنة اللغة إلى شهرين ، يُنفَّذ خلالها برنامج ثقافيّ في إطار لا أخلاقيّ ، يُختم كلّ يوم مساء بمحاضرات تتناول الفكر الماركسي، والنظام الاشتراكي. والبرنامج مدروسٌ ومقصودٌ به العبث بهذه الفريسة–المسلمة– وغرس الإلحاد، وما يُسمَّى بالفكر الثوري فيها[1].

وكثيرٌ من هؤلاء الطلبة يتعرَّضون لغسيل دماغ ، ثمّ تملأ أدمغتهم وتُحشى بأفكار إلحاديَّة ، يرجعون بعدها إلى بلادهم دعاة لأعداء الدين ، حرباً على المسلمين. وهكذا يستمرّ الرضاع بين الأم ووليدها دون فطام ، ويتولَّد عند الكثيرين ضمان الولاء لأعداء الإسلام ، والوفاء للأم الرؤوم التي رضع منها المبتعثون .

يتحدَّث الدكتور مصطفى السباعي عن أحد "الدكاترة" الذين تلقَّى عنهم العلم في الأزهر،–وكان ذلك الدكتور قد أنهى دراسته في ألمانيا حديثاً– فيقول: ((لَمَّا كُنَّا طُلاَّباً في قسم تخصّص المادة في الفقه والأصول وتاريخ التشريع في كليَّة الشريعة وكان ذلك عام ١٩٣٩م، عَيَّنت مشيخةُ الأزهر في عهد الشيخ المراغي رحمه الله، الدكتورَ "علي حسن عبد القادر" أستاذاً لنا يُدرِّس تاريخ التشريع الإسلامي ، وكان قد أنهى دراسته في ألمانيا حديثاً ، وهو مجازٌ من كليَّة أصول الدين ، ومكث في ألمانيا أربع

---

(١) انظر التقرير المفصَّل الذي أعدّته مجلة المجتمع عن : أوضاع الطلبة المسلمين في الاتحاد السوفياتي وشرق أوروبا:ما هي البرامج التي يُطبّقها الشيوعيُّون على الطلبة المسلمين وما نوع الضغط والإرهاب الذي يُمارسه الطلبة من العرب الشيوعيِّين ضدّ زملائهم. (مجلة المجتمع ، العدد ٣٠٨ ، ص ٢٦–٣١) .

سنوات، حتى أخذ شهادة الدكتوراة .. كان أوّل درسٍ تلقّيناه عنه أن بدأه بمثل هذا الكلام : "إنّي سأُدرِّس لكم تاريخ التشريع الإسلامي، ولكن على طريقة علميَّة لا عهد للأزهر بها ، وإنِّي أعترف لكم بأنِّي تعلَّمتُ في الأزهر قرابةَ أربعة عشر عاماً فلم أفهم الإسلام ، ولكنّني فهمتُ الإسلام حين دراستي في ألمانيا" . فعجبنا -نحن الطلاب- من مثل هذا القول ، وقلنا فيما بيننا: لنسمع إلى أستاذنا، لعلَّه حقًّا قد علم شيئاً جديراً بأن نعلمه عن الإسلام لا عهد للأزهر به . وابتدأ درسه عن تاريخ السنَّة النبويَّة ترجمةً حرفيَّةً عن كتاب ضخم بين يديه، علمنا فيما بعد أنَّه كتاب "جولد تسيهر": "دراسات إسلاميَّة" ، وكان أستاذنا ينقل عبارته ويتبنَّاها على أنَّها حقيقة علميَّة ، واستمرَّ في دروسه ، نناقشه فيما يبدو لنا -نحن الطلاب- أنَّه غير صحيح ، فكان يأبى أن يُخالف "جولد تسيهر" بشيء مِمَّا ورد في هذا الكتاب))[1] .

فهذا "الدكتور" يُقدِّم بعض الوفاء لأولئك المستشرقين الذين تلقَّى عنهم، بنقل أفكارهم إلى أبناء المسلمين . فيا له من صيدٍ ثمين لأعداء الدين ، ويا لها من شباك لا يُمكن الانفلات منها.

يُحدِّثنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -طيّب الله ثراه- عن أبعاد هذه الدراسة، وعن صناعة التغريب التي يُمارسها الغرب الإباحي والشرق الملحد ضدّ العقول المسلمة ، ويُعرِّي بعض أسرارها ، ويُشير إلى دور الطلبة الذين تأثَّروا بأفكار أولئك بعد عودتهم إلى بلدانهم، فيقول:((..وهذه الأسلحة وما يُصاحبها من إغراء وتشجيع، وعدم وازعٍ

---

(١) السنَّة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ ، للدكتور مصطفى السباعي ، ص ١٩-٢٠ .

من دينٍ أو سلطة ، قلَّ من ينجو من شباكها ، ويسلم من شرورها ... وهؤلاء بعد إكمال دراستهم وعودتهم إلى بلادهم وتسلّمهم المناصب الكبيرة في الدولة ، أخطر من يطمئنّ إليه المستعمر بعد رحيله ويضع الأمانة المشينة في أيديهم ، ليُنفِّذوها بكلّ دقَّة ، بل بوسائل وأساليب أشدّ عنفاً وقسوة من تلك التي سلكها المستعمر ..))[1] .

وهكذا يتسلَّل الغزو الفكري إلى بلاد المسلمين عبر تلك الثغرة ، في جهل مطبق ، أو تجاهل متعمّد من أكثر المسلمين لهذه الثغرة الخطيرة .

هذا عمَّن ذهب إلى تلك الديار بقصد الدراسة .

ولكن ما هو حال من ذهب إلى تلك البلاد بغرض العمل والإقامة ؟! وما حال أبنائه ؟ سيَّما إذا علمنا أن روضات المدارس تُسيطر عليها كليًّا الكنائس. والمدارس الأوليَّة تتحكَّم فيها الكنائس بنسبة ٨٠٪ .

والجواب : إنَّ المُقيم يصعب عليه –في الغالب– أن يُحافظ على ذاتيّته وشخصيَّته ، وكثيراً ما يقع فريسة عادات وتقاليد ذلك المجتمع الذي يُقيم فيه . وأُسرته المقيمة معه تتعرَّض إلى مزيدٍ من التحدِّي والهجمات التغريبيَّة ، وحتى التنصيريَّة الشرسة، سيَّما عند دخول الأولاد المدارسَ. ولعلَّ ما جاء على لسان "بابا" الفاتيكان لطمأنة الخائفين على أوروبا من هجرة المسلمين يُلقي بعض الضوء على حال هؤلاء ، فقد قال "البابا" : ((طالما أنَّ أطفالهم في مدارسنا ، فلا خوف منهم ومن نزوحهم))[2] .

---

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٢٨٢،السنة السادسة والثلاثين،٢٩ محرَّم ١٤٢٠هـ،ص٧ .
(٢) انظر مجلة المستقبل الإسلامي ، العدد ١٣٤ ، ص ٣٢ .

فهذا كلُّه يؤدِّي إلى ذوبان جيل كامل من أبناء المسلمين الذين ذهبوا إلى أوروبا وأمريكا وغيرها، حتى يُصبحوا مسلمين اسماً، مشوَّهين عقيدة.

ومن المشكلات التي تواجه الشبابَ المقيم في بلاد غير إسلاميَّة : مشكلة زواجه بغير مسلمة. ودوافع هذا الزواج غالباً دوافع عاطفيَّة بحتة . وباعتراف أصحابه الذين أقدموا عليه: يعيش الزوج المسلم ممزَّقاً بين ثقافته وحضارته –التي تبقى رواسبها مهما انحرف–، وثقافة وحضارة ونمط عيش زوجته.وتزداد المشكلة تشعّباً عندما يُنجب الزوجان أطفالاً، فتتغلَّب الزوجة –غالباً– لتُربِّي أبناءها كما تشاء ، وتُسمِّيهم بأسماء نصرانيَّة . وهكذا يُساهم الشبابُ المتزوِّجون بأجنبيَّات في تنصير أو تهويد أبنائهم، عوضاً عن تبليغ أمانة الدين لهم .

وبعض النَّاس يذهب إلى بلاد الغرب أو دول شرق آسيا بقصد السياحة[1] . وكثيرٌ من الآباء يتساهل بالسماح لأبنائه وبناته بالسفر إلى تلك البلاد ، حيث تغيب الرقابة، فتنتقل الانحرافات العقديَّة والأمراض الاجتماعيَّة من الأمم الكافرة إلى المجتمعات الإسلاميَّة .

---

(١) ذكر صاحب إحدى الوكالات السياحيَّة العالميَّة للسفر أنَّ عدد التذاكر المصروفة للشباب خلال شهرين فقط ، بلغ (٧٠٠,٠٠٠) سبعمائة ألف تذكرة في مدينة واحدة فقط . أمَّا عن توقّعاته لما سيُصرف خلال الشهر الثالث ، فذكر أنَّه يتوقع أن يرتفع هذا الرقم إلى تسعمائة أَلف تذكرة ، قيمتها أكثر من سبعين مليون ريال ، عدا عن الأموال الهائلة التي تصبّ في جنوب شرق آسيا ، وشرقها ؛ حيث يذهب أكثر الشباب ، أكثر من أيّ مكان آخر !! (تحقيق في مجلة اليمامة ، العدد ٦٥٧) .

المبحث الثاني : غيرُ المسلمين المقيمون بين المسلمين

أعطى الإسلامُ أهلَ الذمَّة حقوقاً لم تنلها أيّ أقليَّة في أي مكان من العالم. لكنَّ بعضَ أهلِ الذمَّةِ اتخذوا من سماحة الإسلام ، وحُسن معاملته لمخالفيه تكأة لبثّ سمومهم على أبنائه ، فصارت حالهم شبيهة بحال الأفعى التي أصابها الدفء ، فبدأت باللّسع واللّدغ .

فما إن أحسُّوا بالأمان في بعض بلاد المسلمين ، حتى بدأوا بالتطاول على الإسلامِ ورسولِهِ وحملتِهِ الأوَّلين ؛ فنقلوا الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام ضدّه إلى دراسات باللغة العربيَّة ، يقرؤها أبناء المسلمين ، فتتلوَّث أفكارهم ، ويُردِّدون ما جاء فيها من غثاء ، وهاجموا القِيَمَ والأخلاقَ .

ومن أشدّ هذه الدراسات خطراً : ما ألَّفه النصراني "جورجي زيدان" من روايات أطلق عليها: "روايات تاريخ الإسلام"، نقل من خلالها كثيراً من السموم إلى الشباب. فقد أقام بضع عشرة رواية على الحبكة الغراميَّة والتصوير الوجداني وحوَّر فيها مواقف الشخصيَّات التاريخيَة ، وأثار الشكوك حول البطولات الإسلاميَّة ، وتعمَّد إغفال الحوادث التاريخيَّة المهمَّة ، وأضفى هالات مثاليَّة على الرّهبان والأديرة، واصفاً لها بأماكن الراحة والدعة والاستقرار والشعور بالأمان. وتلاعب بالمصادر والمراجع ، فعرض تاريخ الإسلام منذ عصر الخلفاء الراشدين إلى نهاية الدولة العثمانيَّة عرضاً ممسوخاً ، وصوَّره تصويراً باهتاً ، وحرَّفه عن وجهته . وصوَّر الخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوليِّين الذين يُريدون الوصول إلى

الحكم بأيّ وسيلة ، ولو على حساب الدين والخُلُق القويم ، إضافة إلى تجريح كثيرٍ من الصحابة الأخيار، واتّهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات، والعشق الحرام، مع تزييف النصوص التي نقلها من المؤرِّخين القدامى ، وتحويلها عن هدفها تحويلاً أراد به السّخرية والاستخفاف بالمسلمين .

وقد ساعدته دور النشر النصرانيَّة -في بلاد المسلمين- على نشر غُثائه ؛ فقامت دار الهلال المصريَّة بطبع رواياته المحرَّفة طبعات كثيرة جدًّا على مدى خمسين عاماً ، وساندتها بعض دور النشر اللبنانيَّة بطبعها بالألوان والصور ، كمحاولة لتقريبها إلى شرائح من المجتمع المسلم .

ولقد ظلَّت هذه الروايات تعمل عملها سنوات طويلة ، حتى تلقّف غثاءها عددٌ من الأدباء، أمثال طه حسين ، وسلامة موسى ، ولويس عوض ، ومحمود عزمي ، وحسين فوزي ، وزكي نجيب محمود ، واعتمدوا عليها كأنَّها مصدر تاريخيّ أصيل ، بل إنَّ كثيراً مِمَّا سطّروه في كتبهم -من ادّعاءات على الإسلام وتاريخه- بالباطل، إنَّما استمدُّوه أصلاً من هذه السموم التي طواها جورجي زيدان -النصرانيّ- بحذرٍ عجيب في هذه القصص التي سارت بها الرّكبان .

وهذا نصرانيّ آخر مقيمٌ بين أظهر المسلمين ، يبثّ سمومه ، وينشر أفكاره الهدَّامة بين الشباب، فيطعن في الإسلام عقيدة وسلوكاً، وتاريخاً وسيرة، ويسخر من حقائقه وثوابته وأعلامه .

وقد زعم أنَّه يُريد إنارة الطريق للشباب في كتابه "مشاعل الطريق للشباب"، فطعن في أخلاق الإسلام ، وأغرى الشبابَ بالتمرُّد على قيمه

السلوكيَّة ، زاعماً أنَّ الحياة الحقَّة لا تعرف هذه "القيود" التي فرضتها عصور الجهل والظلام بزعمه. يقول : ((وأعني بالحريَّة أن لا يرتبط بمذهب سياسيّ معيَّن ، أو بتقاليد أدبيَّة أو اجتماعيَّة ، لأنَّه حين يرتبط بـ"قِيَم" ، يمنع نفسه بها عن التفكير))[1] .

فالشاب -في نظر سلامة موسى- لا يكون ذا شأن ، إلا إذا تمرَّد وتجرَّد من كلِّ القيم ، سواء أكانت دينيَّة أو اجتماعيَّة أو سياسيَّة أو أدبيَّة ، وواجه مجتمعه بخلاف عقيدته ومناهج سلوكه وقيمه .

فليتخلَّص من هذه القيم والمبادئ التي يحملها ولو كانت مستمدة من دينه، كما صرَّح في موضع آخر من كتابٍ آخر : ((المجدِّد أو الناهض لا يكون كذلك إلا إذا تخلَّص من القيود العديدة، سواء أكان مصدرها الشرائع أو التقاليد))[2].

وهو يُشجِّع الشباب على التمرُّد على قيم مجتمعهم الإسلاميّ ، ولو صاروا مجانين في نظر مجتمعهم، ويوصيهم بألا يخشوا عاقبة هذا الجنون ، فقد جُنَّ قبلهم "قاسم أمين"حين أخرج كتابه الذي دعا فيه إلى سفور المرأة، ولم يخش لومة لائم، وكان عاقبة جنونه -على حدّ قول سلامة موسى- أن صار ((عندنا في الجامعتين نحو ألفي طالبة سافرة، قد ارتفعن من الأنوثة إلى الإنسانيَّة بفضل قاسم أمين حين جنّ جنونه))[3] .

---

(١) مشاعل الطريق للشباب ، لسلامة موسى ، ص ٣٦ .

(٢) أحلام الفلاسفة ، لسلامة موسى ، ص ١١ .

(٣) المرجع نفسه ص ٧٣ .

فالفتاة السافرة -عند سلامة موسى- هي الإنسانة، أمَّا الفتاة المحتشمة، فهي مجرّد أنثى لم تصل إلى درجة الإنسانيَّة .

وهو لا يكتفي بهذا ، بل يصف المسلمين بأنَّهم متوحِّشون بُلْهٌ ، والنصارى بالذكاء والعبقريَّة . ويدعو الشباب إلى العمل على الوصول إلى مستواهم عن طريق الاختلاط بالنساء، ومعاشرتهم بالحرام، فيقول: ((الشباب العربي لا يعرف من المجتمع البشريّ سوى زملائه من الشبَّان ، وهو يُعدّ ناقصاً في ذكائه عن الشباب الأوروبي الذي امتاز بالاختلاط مع الجنس الآخر، كما أنَّ هذا الاختلاط قد عيَّن طرازاً ممتازاً من السلوك ، وميزاناً سويًّا من الأخلاق ... إنَّ الذكاء والأخلاق معاً يحتاجان إلى التعليم المختلط في المراحل الثلاث: الابتدائيَّة والثانويَّة والجامعيَّة...-إلى أن قال :- نتعلَّم معاً في المصنع والمتجر ، ونتدرَّب طيلة أعمارنا على المعاشرة الزوجيَّة ... ولن نحصل على هذا التدريب كاملاً ، إلا إذا اختلطنا بالمرأة وزاملناها منذ صبانا حتى الشيخوخة))[1] .

فالاختلاط هو سبب الذكاء الخارق -في نظر سلامة موسى- ، وبعد أن يتحقَّق هذا الاختلاط، على الشباب أن يتدرَّبوا على المعاشرة الزوجيَّة، وعلى المجتمع أن يُوفِّر لهم كلّ الفرص ليكون التدريب كاملاً، وعلى الآباء ((أن يلحوا في المطالبة بهذا الاختلاط لتربية أبنائهم وبناتهم))[2] .

---

(١) مشاعل الطريق للشباب ، لسلامة موسى ، ص ١٩٠ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٩١ .

ويستمرّ سلامة موسى في كتبه بالدعوة الصارخة إلى الإباحيَّة ، والتهتُّك ، وتمزيق ثوب الحياء ، وانتهاك الحرمات ، ويُحذِّر المجتمع من الإنكار على المحبين والعشّاق، ولو رأى منهم المنكرَ في الطريق[1]، ويصف ما عليه المسلمون بالتزمُّت والشذوذ، فيقول في كتاب آخر:((إنَّنا في مصر حين نحرم الشباب من الاختلاط بالفتيات، وحين نحرِّم الرقص ونصمه بالتهتُّك ، فإنَّنا نوجِّه الغريزة الجنسيَّة نحو أهداف أخرى،هي أهداف شاذَّة؛ لأنَّ الهدف الطبيعيّ للشاب هو الفتاة، وهدف الفتاة هو الشاب، والفصل بينهما هو توجيه كلٍّ منهما إلى الشذوذ))[2] .

فالشباب الذي يُريده سلامة موسى: شباب ماجن مستهتر ، والمجتمع الذي يطمح إليه : مجتمع بليد الحسّ يُشجِّع على المنكر ، ويُحرِّض على الخروج عن تعاليم الدين التي يصفها -في أحد كتبه- بأنَّها بالية ، وأنَّها تقاليد تعوذ جذورها إلى أكثر من ألف سنة -على حدّ زعمه[3]- . وصنيعه هذا يُرشد إلى مقدار ما وصل إليه النصارى في بلاد المسلمين من تطاولٍ على الإسلام وقيمه ومُثُله .

وكثيراً ما يُشكِّل غيرُ المسلمين في بعض البلاد الإسلاميَّة جوًّا هو أقرب إلى روح النصرانيّة وتقاليدها، منه إلى قيم الإسلام وأعرافه الأصيلة.

فمن يمرّ على الفنادق في بعض البلاد المسلمة، أو يدخل بعض المؤسّسات ، أو يُطالع الصحف -سيّما صفحة الإعلانات- عند اقتراب ما يُسمَّى بـ"أعياد الميلاد" عند النصارى ، يجد أنّ الاستعداد لهذه الأعياد قائمٌ

(١) انظر المرجع السابق ص ١٥٧ .
(٢) المختارات ، لسلامة موسى ، ص ٣٦٢ .
(٣) انظر مشاعل الطريق للشباب ، لسلامة موسى ، ص ١٥٧ .

على قدمٍ وساق ؛ فالأضواء والزينات لا آخر لها ، والديكورات وأشجار الميلاد والشموع قد غصَّت بها كثيرٌ من المحلات، يصحب ذلك غزو كاسحٌ من تقاليد أعداء الإسلام؛ فالفندق الفلاني يدعو -دون حياء أو مواربة- إلى قضاء "عيد الميلاد" ، و"رأس السنة" مع سهرة للراقصة "فلانة"، ومع فرقة المغني "فلان" ، التي تستمرّ حتى الصباح ، ويُسمّون ذلك -دون حياء- "إحياءً لتلك الليلة" .

وترى النصارى في بعض بلاد المسلمين يعقدون مؤتمراتهم سرًّا وجهراً .. أضف إلى ذلك تلك المنشورات التي تُوزَّع على المسلمين رضوا أم رفضوا، وتلك الكتب التي تُعرض عليهم ، والتي تُمثِّل غزواً للمسلمين في عقر دارهم ؛ فالسفينة "دولوس"، المركز التنصيريّ العائم الذي يقوم بالتطواف المستمرّ على المرافئ الإسلاميَّة ، قد أقامت معرضاً لكتبها التنصيريَّة في البحرين والسودان وسريلانكا وغيرها من بلاد الإسلام . والمجلات التنصيريَّة تُباع بأثمان بخسة ، ويُوزَّع أكثرها بالمجان على بيوت المسلمين في المجتمع الإسلامي"[1] .

وليس هذا فحسب ، بل إنَّ النصارى المقيمين في بلاد المسلمين يزاولون نشاطهم التنصيريّ -في بعضها- دون رادعٍ أو رقيبٍ .

فهذا نصرانيّ وزوجته يُقيمان في "باكستان"، ويأتيان ببعض الطلبة إلى منزلهما ويدرسان معهم "التوراة والإنجيل" -المحرَّفَين- ، ويُلقيان على أسماعهم تعاليم النصرانيَّة التي لم يسبق لهم السماع بها[2] .

---

(١) انظر التقرير الذي أعدَّته مجلة "الاعتصام" عن التنصير في بلاد المسلمين ، في العدد الثاني ، السنة الخمسون ، ص ٣٦-٣٧ .

(٢) انظر : أصحاب الخيام في مهامّ تنصيريَّة ، بحثٌ أعدّه أحد المنصّرين ، ص ١٥ .

وهذا مهندسٌ نصرانيّ يعمل في جامعة إسلاميَّة، ((وإلى جانب أدائه واجبَه بصورة ممتازة، قام بتوجيه بعض الطلاب إلى المسيح، وعلَّمهم العقيدة ، وعقد لهم لقاءات للصلاة ، وجلسات لدراسة الكتاب المقدَّس في بيته ..))[1] .

وهذا منصِّر ألماني اعتاد أن يتردّد على مطعم كلية العلوم في جامعة الكويت بين الساعة ١٢–٢ ظهراً . وفي مثل هذا الوقت يزدحم المطعم بالطلبة الذين يرتاحون فيه من عناء الدروس ، فيأكلون ويشربون . والمنصِّرون يعرفون من أين تؤكل الكتف، ومتى يبثُّون سمومهم ، وما هو الوقت المناسب لنفث حقدهم.

وقد كثر ترداد هذا المنصِّر الألماني وهو يحمل حقيبة سوداء صغيرة ليُوهم من يراه أنَّه طالبٌ وليس من علاقة تربطه بالجامعة . وفي مطعم كلية العلوم كان يتنقَّل بين الطلبة من طاولة إلى أخرى يتصنَّع الوقار ، وهو يتكلَّم ببطء ، ويُقيم علاقات وروابط مع الطلبة ؛ يُناقشهم، فيأخذ منهم ويعطيهم ، ويلمز الإسلامَ ، ويتحدَّث عن نصرانيَّته ، ويتعرَّض للأمور التي يكثر فيها الحوار داخل الجامعة ، كالاختلاط والسفور،حتى إذا شعر بتجاوب من الطلبة، ولمس من بعضهم تأييداً لوجهة نظره ، أعطاهم عنوانه . والطلبة غافلون عن دعاوى المنصِّرين ، وكثيرٌ منهم لا يعي خطورتهم ودورهم ، فجُلّهم ذهبوا للجامعة للعلم والمعرفة ، لا ليقعوا في شراك المنصِّرين الذين أقاموا قلاعاً في كثيرٍ من بلاد المسلمين باسم الكنائس والمدارس والشركات والخبرات والسياحة[2] .

وغيره كثيرٌ مِمَّن وفدوا إلى بلاد المسلمين للعمل فيها ، مع انتسابهم إلى مؤسَّسات تنصيريَّة، أوَّلُ مهامها تبديل دين المسلمين ، وتغيير قيمهم وعاداتهم بشتَّى الطرق .

---

(١) أصحاب الخيام في مهام تنصيريَّة ، لأحد المنصِّرين ، ص ١٦ .

(٢) نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتيّة ، العدد ٢٧٩ ، ص ١٥ .

المبحث الثالث : المدارس والجامعات الأجنبيَّة في بلاد المسلمين

مهنة التعليم من أشرف المهن، والتعلُّم من أهمّ الأمور في حياة الأمم ؛ إذ بسببه ترتفع الشعوب إلى القمم الشاهقة، أو تنحدر إلى القيعان الهابطة؛ فبإمكانه أن يكون وسيلةً من وسائل التقدُّم والرقيّ، ويُمكن أن يكون وسيلة من وسائل التأخُّر والتخلُّف[١] .

وقد عبَّر محمَّد إقبال عن دوره في الحياة بقوله : ((إنَّ التعليم هو "الحامض" الذي يُذيب شخصيَّة الكائن الحيّ ، ثمَّ يُكوِّنها كما يشاء . إنَّ هذا "الحامض" هو أشدّ قوَّة وتأثيراً من أي مادّة كيماوية ، وهو الذي يستطيع أن يُحوِّل جبلاً شامخاً إلى كومة تراب))[٢] .

ومظاهر الاهتمام بالتعليم -كمًّا ونوعاً وأسلوباً- عديدة ومتنوعة في تاريخنا الإسلاميّ ، لا يتسع المجال لحصرها .

ولقد أدرك أعداء الإسلام خطورة التعليم ، فاتخذوا منه وسيلة لتركيع الأمم ، ومسخ الشعوب ، وردِّهم عن دينهم ، وإبعادهم عن عقيدتهم وأخلاقهم وقِيَمِهم . يقول "اللورد كرومر" : ((إنَّ المصري الذي خضع للتأثير الغربي ، فإنَّه وإن كان يحمل الاسم الإسلامي ، لكنَّه في الحقيقة ملحدٌ ارتيابيّ ، والفجوة بينه وبين عالم أزهري ، لا تقلّ عن الفجوة بين عالمٍ أزهريّ وبين أوروبيّ))[٣] .

---

(١) انظر "احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام" لسعد الدين السيد صالح ص ٧١ .

(٢) نقل عنه ذلك الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه : الصراع بين الفكرة الإسلاميَّة والفكرة الغربيَّة ص ١٦٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٦ .

لهذا قام المنصِّرون وغيرهم من أعداء الإسلام بإنشاء المدارس والجامعات في أنحاء العالم الإسلاميّ ؛ في مصر، وتركيا، وسوريا، ولبنان، والأردن، والسودان، والهند، وأفغانستان ، وغيرها من بلاد المسلمين، بأعداد هائلة، حتى كان لهم في سوريا وحدها (١٧٤) مائة وأربع وسبعون مدرسة منتشرة في المدن والقرى[١]، وفي لبنان-البلد الصغير- أعداد لا تُحصى من المدارس والكليَّات الأجنبيَّة المختلفة ، وفي الأردن ، بل في "عمَّان" وحدَها أكثر من (٣٠) ثلاثين مدرسة ومعهداً علميًّا يتبع المؤسّسات الأجنبيَّة والأديرة النصرانيَّة ، وفي باقي الأردن يزيدون على المائة بعددٍ كبير[٢] .

كما اهتمّ أعداء الإسلام بمدارس البنات بصفة خاصَّة، لعلمهم أنَّ المرأة هي المدرسة الأولى في التربية؛ فأكَّدوا أنَّ الغزو الفكريَّ في مدارس البنات يكون أتمّ حبكاً، سيّما إذا كانت المدارس داخليَّة؛ لأنَّها تقطع صلة الطالبات بحياتهنّ الإسلاميَّة، وتجعلهنّ يعشن حياةً بعيدة عن الإسلام، قريبة من النصرانيَّة. تقول المنصِّرة "آنا مليغان": ((لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كليَّة البنات في القاهرة بنات، آباؤهنّ باشوات وبكوات، ولا يوجد مكان آخر يُمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وبالتالي ليس هناك طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة))[٣] .

---

(١) انظر كتاب "قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام، أبيدوا أهله" لجلال العالم ص٦٢ .

(٢) هذا في إحصائيَّة أُجريت قبل سبع وعشرين سنَّة . فما بالك بها في وقتنا الحاضر . (انظر مجلَّة المجتمع الكويتيَّة ، العدد ٣٢٨ ، ص ١٥ ، ٣٦-٣٩) .

(٣) نقلاً عن الدكتور سعد الدين السيد صالح في كتابه : احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ص٧٢ .

واهتمّ أعداء الإسلام -أيضاً- بإنشاء "الحضانات" وروضات الأطفال، واعتبروا دخول طفلٍ من أطفال المسلمين فيها مكسباً ثميناً لا يُقدَّر بمال، نظراً لما في الأطفال من قابليَّة التشكُّل بالشكل الذي يُريدونه. يقول المنصِّر "جون موط" عن دور هذه الروضات : ((يجب أن نؤكِّد في جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار، فهو عمدة عملنا في البلاد الإسلاميَّة ، وإنَّ الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جدًّا . من أجل ذلك يجب أن يُحمَل الأطفالُ الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم سنّ الرشد، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلاميَّة))[1].

ولقد استعمل أعداء الإسلام التعليم -في جميع المراحل- لتوصيل التصوير المشوَّه للإسلام ورسوله والمسلمين ، إلى أجيال المسلمين جيلاً بعد جيل ؛ فقد أقاموا الجامعات في بلاد المسلمين خدمةً للاستعمار والتنصير ، وسبيلاً لنشر الأفكار المسمومة ضدّ الإسلام ورسوله ، وبهدف إبعاد المسلمين عن تراثهم وثقافتهم ، ومحاولة لإضعاف الوازع الدينيّ في نفوسهم ، وقطع ولائهم لدينهم وأُمّتهم . وأنشأوا المدارس لبثّ أفكارهم المسمومة في نفوس الناشئة ، بحيث يقبلون بسرعة أي فكرة خاطئة عن الدين الإسلاميّ ، فتكون خطراً مدمّراً على عقيدتهم ودينهم ؛ فالناظر في مناهج هذه المدارس والجامعات ، يجزم أنَّها مناهج دولة أجنبيَّة غازية[2] ، ويلمح ما تقوم به من دسّ على عقيدة المسلمين، وغرس لعقيدة التثليث،

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) انظر المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسيَّة ، لعبد الله الشبانة ، ص ٦٦ .

وما تعمله من إشاعة للانحلال الخلقي ، وزرع بذور الفتنة واستغلالها . بل إنَّ الدارس لأوضاعها يجزم أنَّها أوكار للفساد والتخريب والتجسُّس ، تخدم مخططات أعداء الإسلام في بلاد المسلمين .

ومن أشهر هذه المؤسَّسات في العالم الإسلاميّ ، والتي موّهوا بأسمائها على الرأي العام : جامعة "القديس يوسف" في لبنان ، وهي جامعة بابويَّة كاثوليكيَّة ، تُعرف الآن بالجامعة اليسوعيَّة .

والجامعة الأمريكيَّة ببيروت، والتي كانت تسمَّى من قبل "الكليَّة السوريَّة الإنجيليَّة"، ثمّ كليَّة بيروت التي أُنشئت عام ١٨٦٥م، وهي جامعة بروتستانتيَّة .

والكليَّة الأمريكيَّة بالقاهرة، والتي أصبحت فيما بعد "الجامعة الأمريكيَّة" ، وقد كان القصدُ من إنشائها : أن تكون قريبةً من الجامع الأزهر ، بغرض منافسته ، وضربه .

وكذا كليَّة "روبرت" في إستانبول ، والتي أصبحت تُسمَّى بـ"الجامعة الأمريكيَّة"، وقد أُنشئت لإسقاط الخلافة الإسلاميَّة.

والكليَّة الفرنسيَّة في "لاهور" ، والتي أُسِّست بغرض ضرب الإسلام في شبه القارة الهنديَّة . وغير تلك من الجامعات والكليَّات التي تتخذ أسلوب الهجوم المباشر حيناً ، وغير المباشر أحياناً .

وطابع هذه المؤسّسات مرتبطٌ بالنفوذ الكنسيّ النصرانيّ في الثقافة والتعليم.

ولنأخذ الجامعة الأمريكيَّة في بيروت كمثالٍ على هذه الجامعات والمؤسّسات التعليميَّة ، تلك الجامعة التي يقول عنها "هوارد بلس" معرِّفاً

بها : ((هي مؤسَّسة تبشيريَّة متميِّزة ، وهي أنموذج مطابق تماماً للكليَّات والمشروعات التبشيريَّة الأُخرى، ليس لها بالتأكيد علامات مشروع تبشيريّ تقليديّ ، ولكنَّها في الوقت الذي تُسخِّر فيه جهودَها لإعطاء الطلاب تربية عصريَّة صلبة ، وتصنع منهم مهنيِّين فاعلين، لا تعتبر أنَّ واجبها قد بدأ حقًّا حتى تُعلِّم طلابها ما تتمسَّك هي به كقيمة أسمى في الحياة ، وهو : أنَّ تَبَنِّي المثاليَّات النصرانيَّة هو الأسلوب الأفضل لتحضير الإنسان ليلعب دوراً ذا قيمة في الدراما العظيمة للحياة))[1] .

فمهمَّة هذه الجامعة كما صرَّح "هوارد بلس" هي: تبنِّي المثاليَّات النصرانيَّة. وحين احتجّ الطلبةُ المسلمون الدراسون في تلك الجامعة على إرغامهم على دخول الكنيسة كلّ صباح، أصدرت إدارة الجامعة – الأمريكيَّة– منشوراً،جاء فيه ما نصّه : ((إنّ هذه كليَّة مسيحيَّة أُسِّست بأموال شعبٍ مسيحيّ ، هم اشتروا الأرض، وهم أقاموا الأبنية، وهم أنشأوا المستشفى وجهّزوه،ولا يمكن للمؤسّسة أن تستمرّ إذا لم يسندها هؤلاء . وكلّ هذا قد فعله هؤلاء ليُوجِدوا تعليماً يكون الإنجيل من موادّه، فتُعْرَض منافع الحقيقة المسيحيَّة على كلّ تلميذ . وكلُّ طالبٍ يدخل مؤسّستنا يجب أن يعرف سابقاً ماذا يُطلب منه))[2] .

---

(١) "المبشّر العصريّ" ، لهوارد بلس ، مقال نشرته المجلة الأمريكيَّة "أتلنتك مانثلي" عام ١٩٢٠، ثمّ جعله رئيس الجامعة الأمريكيَّة الأسبق –بيروت– "ستيفن بنروزَ" الفصلَ الحادي عشر من كتابه "حتى تكون لهم حياة: That They May have Life" ص ١٨٠–١٨١ . وعرضه الدكتور نبيل صبحي في مجلة "الأمة" ، العدد الخمسون ، ص ٣٠–٣٢ .

(٢) نقلاً عن كتاب : التبشير والاستعمار لعمر فروخ ص ١٠٨ .

من جانب آخر، أصدر مجلس أمناء الجامعة الأمريكيَّة في هذه المناسبة هذا الإعلان: ((إنَّ الكليَّة لم تؤسّس للتعليم العلمانيّ، ولا لبثّ الأخلاق الحميدة ، لكن من أولى غاياتها أن تُعَلِّمَ الحقائقَ الكبرى التي في التوراة ، وأن تكون مركزاً للنور المسيحيّ، وأن تخرج بذلك على النَّاس، وتوصيهم به))[1].

ولا يختلف نشاط الجامعة الأمريكيَّة في القاهرة، عنها في بيروت؛ فقد ((أُنشئت بهدفٍ تبشيريّ بحت ، ضجَّ منه الأقباطُ قبل المسلمين في كافَّة أنحاء مصر))[2]. ولو راجعنا أسماءَ الأساتذة الذين يعملون فيها، لوجدناهم جميعاً من المبشِّرين[3].

ولقد صارت هذه الجامعة موئلاً لأبناء طبقات خاصَّة تشبَّعت بالتصوّر الأجنبيّ المعادي لإسلامنا ، ووجد هؤلاء في مناهج الجامعة ما يُشبع طموحهم وأهواءهم لازدراء الأمَّة الإسلاميَّة وتاريخها وقِيَمها .

وهذا هو السبب الذي لأجله يُركِّز أعداء الإسلام على المدارس والمؤسّسات التعليميَّة ، ويتضح هذا في قول "هوارد بلس" : ((الواقع أنَّ الفائدة الرئيسة التي تُقدِّمها الكليَّة للمنصِّر كحقلٍ غنيّ لنشاطاته ، هي في الحقيقة أنَّ بدائرته جسماً مختاراً من الشباب قادة المستقبل في بلادهم ، ينفردون بالاستجابة لفكرٍ جديدٍ في الأخلاق والدين والمُثُل))[4]. وهو

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) المنظمات الدوليَّة ودورها في التغيير الثقافي والفكري ، لحسين محمد الجرادي . ورقة عمل نشرت ضمن أبحاث المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب ، ١/٥٠٤ .

(٣) انظر التبشير والاستعمار ، لعمر فروخ ، ص ٧١ .

(٤) نقله عنه "ستيفن بنروز" في كتابه : حتى تكون لهم حياة ص ١٨٤. (الأمة، ص٣١).

طبعاً يقصد مُثُل أعداء الإسلام وأخلاقهم ، التي لا تلتقي مع مُثُل الإسلام وأخلاقه .

ولا نغفل عن دور هذه الجامعة -الأمريكيَّة- في نشر الانحلال والإباحيَّة بين الشباب. وربَّما كانت الإشارة إلى الرحلات التي تُنظِّمها كلّ خمسة عشر يوماً إلى الاسكندريَّة وأسوان ، تُوضِّح ذلك ؛ حيث تضمّ هذه الرحلات طلبةً عددهم مساوٍ لعدد الطالبات ، وتنزلهم في الفنادق ، وتجعل كلّ طالبٍ يجلس مع طالبة ، فيحدث ما يحدث ، كي يتعلَّم الشباب الاختلاط ، وتُبثّ فيه روح الانحلال[1] .

ولا ننسى جامعة الحكمة ، تلك الجامعة التي أُنشئت في بغداد سنة ١٩٥٦م من قبل جمعيّة الآباء اليسوعيِّين الأمريكيِّين ، وغالبية أعضاء هيئة التدريس فيها من النصارى العرب والأمريكيِّين ؛ إذ يبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس (٩٢) اثنين وتسعين عضواً، منهم (٢٧) سبعة وعشرون قسّيساً، وخمس راهبات ، كلُّهم أعضاء في جمعية الآباء اليسوعيِّين، و٢٧ عضواً من العراقيِّين النصارى . وأمَّا البقيَّة : فهم من الأمريكيِّين ، ومن الطوائف العراقيَّة المختلفة .

وقد انتسب إلى هذه الجامعة عددٌ كبيرٌ من الطلبة اليهود -والغالبيَّة الساحقة من المنح الدراسيَّة لهذه الجامعة تذهب لليهود- . وأُقيمت فيها دورات ثقافيَّة مركَّزة لتلويث أفكار الطلبة، ولا سيّما المسلمين .

وبعد مسيرة أعوام لهذه الجامعة في الإفساد والغزو الفكري ، اكتشفت السلطات العراقيَّة خطرها ، وذكرت أنَّ من أخطارها :

---

(١) انظر ما قاله وزير الأوقاف المصري الأسبق د. محمَّد البهيّ ، في مقابلة أجراها معه مجلة الدعوة المصريَّة ، في عددها رقم ٤٢٩ ، ص ٦٤-٦٥ .

١- التجسُّس لصالح العدوّ .
٢- إشاعة الرذيلة والانحلال الخُلُقيّ .
٣- تكريس الطائفيّة الدينيّة والعرقيّة .
٤- تضليل النشئ وإبعادهم عن القيم الإسلاميَّة .
وغير ذلك من النشاطات الهدَّامة .

وقد حدثت بعد ذلك ردود فعلٍ عنيفة من قبل الشعب ، على شكل مظاهرات ، صاحَبَها استنكارٌ وتنديدٌ من هيئات عديدة ، ومن وسائل الإعلام المختلفة ، وطالبت مجتمعةً بإغلاق الجامعة كليًّا[1] .

هذا بالنسبة للجامعات . أمَّا عن المدارس التنصيريَّة الموجودة في بعض البلاد الإسلاميَّة ، فإنَّها تنقسم إلى قسمين : قسمٌ يتبع للكنيسة بصورةٍ مباشرةٍ[2] ، وقسمٌ مرتبطٌ بالجاليات الأجنبيَّة[3] . وهذا القسم الثاني وإن كان في الظاهر قد أنشأ مدارسه لرعاياه وأبنائه ، إلا أنَّه يشترك مع القسم الأول في الخطر على الأجيال المسلمة؛ لأنَّ بعضَ المسلمين -وللأسف- سعوا بأبنائهم إلى هذه المدارس حتى صارت تضمُّ نسبة من أبناء المسلمين تزيد على نسبة النصارى .

وقد يتساءل القارئ عن دور هذه المدارس في تغريب أبناء المسلمين، فأقول : أخطر أثرٍ في هذه المدارس هو الأثر النفسيّ والفكريّ ؛ إذ أكثر

(١) نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتيّة ، العدد ٣١٤ .
(٢) مثل مدارس "الراهبات" في بلاد الشام ، و"فجر الصباح" ، و"الجيل الجديد" في الكويت ، و"الفرنسيسكان" ، وغيرها .
(٣) مثل المدرسة الإنجليزيَّة ، والمدرسة الأمريكيَّة ، والمدرسة الفرنسيَّة ، وغيرها .

هـذه المدارس تتوخَّى أن تكـون أنموذجاً ممثِّلاً لحضـارتها، يشعرُ الدراس فيها -وهو ناشئ غرير- بصور التفوّق الغربي العاكس لعناصر الحضارة المنتجة لذلك الأنموذج . فيُصاب بالانبهار بذلك الخصم المتفوّق، ويُوطِّن نفسه على سلوك مسلكه كي يُحقِّق-كما يتوهَّم- تفوّقه ، فينشأ في نفسه التطبُّع بعادات الغرب وسلوكه واجتماعيَّاته .

ومن ثمَّ تتشرَّب ذهنيَّة الناشئ : الثقافةَ والفكرَ الغربيّين .

عدا عن "طَبْخِ" قادةٍ كثيرين فيها؛ مِمَّن غُسِلَت أدمغتهم، فتسلَّلوا إلى مراكز السلطة في كثيرٍ من بلاد المسلمين .

أمَّا كيف تُعِدّ هذه المؤسّسات الطلبةَ المسلمين هذا الإعداد رغمَ وجودها في بلاد المسلمين، فيُجيب "هوارد بلس" قائلاً عن الجامعات الأجنبيَّة في بلاد المسلمين: ((إنَّ الجامعة تُوفِّر مناخاً نفسيًّا لا يستطيع واحدٌ الإفلات من تأثيره.والطالب لا يعي حقًّا التغييرات الحاصلة دائماً في داخله، وقد يُنكر بكلِّ نيَّة حسنة أنَّه يتأثَّر تأثُّراً شديداً بمحيطه. وثمرة هذه البذرة قد لا تأتي إلا بعد مدَّة طويلة من مغادرة الطالب للكليَّة ... وحيثما يذهب هذا الرجل يُمهِّد الطريق للتربية ويهدم الطغيان ، وليُخفِّف حدّة التعصّب ، والدعوة لحرية الدولة والكنيسة ..))[1] .

فهذه المدراس والجامعات المختلفة التي فُتحت في بعض بلاد المسلمين، وباشر أعداءُ الإسلام من خلالها غزوَ طفولتنا البريئة ، وشبيبتنا الغضَّة، والتأثير عليها : لو قلنا إنَّها لم تمح في المجموع عقائد أبنائنا ، فيكفي أنَّها بذرت فيها بذور الشكّ أو الانحراف .

---

(١) نقله عنه "ستيفن بنروز" في كتابه : حتى تكون لهم حياة ص ١٩٣ . (الأمة، ص٣١).

المبحث الرابع : الخادمات والمربِّيات الأجنبيّات

أراد الإسلام توزيع المسؤوليَّة بين الأبوين بالعدل من أجل خير الذريَّة، وطُهْرِ الأسرة ، ونقاء المجتمع . فاعترضت بعضُ نسائنا ، وخُدِعْنَ عن أنفسهنّ بزيف الغرب ، فخرجن للعمل ، وتنازلن عن مسؤوليّتهنّ نحو أولادهنّ لخادم لا تُؤتمن ولا تُحسن القيام عليهم ، فضاعت الأسرة ، وضاع شبابها .

وهذا أمرٌ قد استفحل في أغلب المجتمعات الإسلاميَّة، وهو من المشاكل التي أفرزتها الهجمة الحضاريَّة الغربيَّة، ومن أخطر المصائب التي ابتُليَتْ بها المجتمعات المحافظة .

فالعالم الإسلاميّ يشهد، ومنذ سنوات –سيّما في دول الخليج– ظاهرة استيراد المربيات والخادمات من دولٍ كثيرةٍ ، يعتنق أكثرها ديناً غير الإسلام ؛ إذ معظم هؤلاء المربيات صليبيَّات، أو بوذيَّات، أو هندوسيَّات، أو من اللائي يُقدسن آلهة أرضيَّة مزعومة. بل ربَّما انتهز أمثال هذه الظروف بعضُ الفتيات اليهوديَّات فتسلَّلن تحت جوازات مزوَّرة وأسماء مستعارة إلى مجتمعنا المسلم ليقوموا بتربية أبنائنا على أيّ دينٍ غير الإسلام .

وهنا مكمن الخطر ؛ حين ندفع هؤلاء إلى فلذات أكبادنا ليقوموا على خدمتهم، ويُساهموا في تنشئتهم وتربيتهم، فيتجرَّع هؤلاء الأطفال سمومَ التنصير والتغريب أو التهويد على أيدي تلك المربيات غير المسلمات اللاتي قلَّ أن تخلو أسرةٌ مسلمةٌ من واحدةٍ أو أكثر منهنّ .

وهذا أمرٌ خطيرٌ جدًّا على معتقد هؤلاء الأطفال المسلمين الذين يتمّ تشويه فطرتهم السليمة بسبب التربية المستوردة من بيئات غير إسلاميَّة ؛ ذلك أنَّ "العمالة الأجنبيَّة" تنقل عاداتها وأخلاقها وتقاليدها. ((أرأيتَ كلّ مجتمع تحلّ فيه مربية ، أو خادمة في بيت من البيوت، ما هو دورها مع الأطفال

الصغار الذين تقضي معهم من الوقت أضعاف ما يقضيه معهم والديهم ، يتعلَّمون من هذه المربية كلَّ شيء، بل ويُفضِّلونها في كثيرٍ من الأحيان على أُمِّهم..))[1] .

وللخادمات والمربِّيات من الآثار السلبيَّة العميقة الشيء الكثير الذي لا نستطيع إدراكه بالملاحظات اليوميَّة، ولكن بإمكاننا أن نلمس ذلك بعد سنوات، عندما يتخرَّج من تحت أيدي أولئك الخادمات والمربِّيات جيلٌ يتنكَّر للإسلام وتعاليمه وقيمه ؛ إذ أغلب المربيات غير مسلمات ، وهنّ يُمثِّلن زحفاً تنصيريًّا على الإسلام ؛ فمن خلالهنّ يتسلَّل الغزو الفكري إلى المسلمين ، سيّما أطفالهم ، في سنٍّ يمتصّ فيه الطفل القيمَ والعادات والأخلاق ، ويتقمَّصها ، فتكون ثقافة أكثر الخادمات "فيروساً" يغزو عقول أبنائنا وفلذات أكبادنا . وحينها سنبكي على حال هذا الجيل الجديد الذي صَعُبت عليه لغة القرآن، والتبست عليه المفاهيم ، فإذا سألته عن "مكَّة" ، أجابك عن "مانيلا" !!

أضف إلى ذلك تلك الجوانب الإيجابيَّة التي سيفقدها الطفل نتيجة غياب دور الأمّ ؛ فليس لدى الخادمة أو المربية حرص أو اهتمام في أن توجِّه الطفل إلى ناحية إيجابيَّة ، أو تستأصل منه عادة سلبيَّة اكتسبها من هنا أو هناك .

بل إنَّ الخادمات والمربيات يُؤيّدن اختلاط الذكور بالإناث ، ولا يجدن في ذلك حرجاً، كما أنّ منهنّ من توافق على نوم الذكور مع الإناث بعد سنّ البلوغ ، ولا يمنعن من استقبال الضيوف من الجنس الآخر .

فأيّ فضيلة وُئدَت ؟ وأي رذيلة غُرست ؟

---

(١) المخدرات في الفقه الإسلامي ، للدكتور عبد الله الطيَّار ، ص ٣٤ .

ويُضاف إلى ذلك ثالثة الأثافي، وهي فقدان العطف والحنان والحبّ الصادق، الذي يتفاعل مع المكوّنات الأخرى لشخصيَّة الطفل، فتتركّب في داخل نفسه ، لتُنتج لنا شخصيَّة سويَّة تستطيع أن تتعامل مع الحياة، وتُسهم فيها بشكل طبيعيّ معتدل . فماذا نتوقَّع من جيلٍ تخرَّج من بيئة فَقَدَ فيها الحنان الصادق والرعاية الصحيحة ؟! لا ريب أنَّه سينحرف ويجنح إلى العادات السيِّئة ، وربَّما صار وبالاً على أهل بيته ومجتمعه .

وقد تنبَّه إلى خطر المربيات على الجيل الجديد في دول الخليج أحدُ الباحثين الغربيِّين، وهو "جون إدِّي"، فذكر أنَّ استقدام المربيات ، وتركهنّ مع الأولاد ، ربَّما يكون من أسباب انحرافهم، وسلوكهم مسلك الشرّ، وتعاطيهم للمخدِّرات. يقول : ((المخدِّرات ليست هي المشكلة الحقيقيَّة ، وإنَّما المشكلة تتلخَّص في الأسباب والظروف التي تدفع بالشباب إلى هذا الانحراف . فالمخدِّرات تُمثِّل عرضاً ظاهراً لمرض أكبر . وعندما يُربَّى الطفل على يد الخادمات ، فإنَّه يشعر بالقلق وعدم الأمن، لا كالذي يشعر به من تربَّى على يد والديه . وعندما يشعر الفتى بالقلق ، قد يدفعه ذلك إلى المخدِّرات بحثاً فيها عمَّا فقده . ولا بُدَّ من الانتباه إلى انتشار ظاهرة الاعتماد على المربيات والخادمات في منطقة الخليج العربي . وهذه الظاهرة سوف تُسهم في زيادة انتشار المخدّرات بين الشباب الذي لم يعتن به الوالدان عناية كافية))[1] .

هذا كلامٌ عن الأطفال إذا رُبُّوا في غير أحضان أمّهاتهم بغض النظر عن ديانة المربية ..

---

(١) المعلّم في مواجهة المخدّرات، لجون إدِّي، ص ١٩ . وانظر خطر المربيات غير المسلمات على الطفل المسلم ، لخالد أحمد شنتوت ، ص ٤٣ .

فما بالك إذا كانت المربية أو الخادمة غير مسلمة ؟ وما ظنّك بها إذا كانت تدعو أبناءَ المسلمين إلى دينٍ غير الإسلام -كما حصل ذلك فعلاً[1]- ؟

وماذا تفعل إذا رأيتَ الخادمة تقود ابنتك أو ابنك إلى الكنيسة ؟

أو إذا رأيت واحداً من أولادك قد علَّق الصليب ؟

أو رأيتَه يُصلِّي للنَّار كما عَلَّمَتْهُ الخادمة[2] ؟

أو يستخدم السحرَ الذي تعلَّمه من المربية ؟

إنَّ الخادمةَ والمربيةَ ليست مجرَّد آلةٍ في البيت، بل إنَّ لها ديناً ، وثقافة، وقِيَماً، ومعايير، وتقاليد اجتماعيَّة . وهذه الثقافة والقيم ستنتقل ، ويظهر التأثُّر بها من قبل عددٍ من أبنائنا إذا تُركوا بين يديها ، ((ولا عَجَبَ أن نسمع الصغار يُردِّدون الطقوس والكلمات، وحتى الأغاني بلغات الخدم ، ويفرحون لسماعهنّ كثيراً. وهنا مكمن الخطر، فإذا كانت الخادمة هي التي تُلبس الأطفال وتُطعمهم، وإذا كان تعليم الحرف يجعل الإنسان تابعاً لمن علَّمه، فكيف بمن يُطعمه ويُلبسه. هذا إذا اكتفينا بمساعدة الخادمة في المجال البدني ، فكيف إذا انتقل العون إلى اللسان ، بحيث يدخل الأطفال مع الخدم في جدالٍ وحوارٍ وسؤالٍ وجوابٍ ، فهنا يكون الخطر أكبر، وخاصَّة في غياب من يجب أن يكون الحوار معهم))[3] .

---

(١) انظر جريدة عكاظ ، العدد ٩٨٠٢ .

(٢) انظر بعض القصص التي ذكرها الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس في كتابه القيم: الخادمات وأثرهنّ على الأسرة والمجتمع ، ص ٣٥-٣٧ .

(٣) الخادمات وأثرهنّ على البيت والمجتمع ، للدكتور الخميِّس ، ص ٣١ .

المبحث الخامس : وسائل الإعلام : من أخطر ثغرات الغزو الفكري

الإعلام قديمُ النشأة ، صاحبَ الجماعة البشريَّة منذ تكوّنها ، وتطوَّر بتطوّر أفكارها ، حتى أنهت الوسيلة الإعلاميَّة المعاصرة عزلةَ النَّاس، بعدما أصبح العالَم كلُّه قريةً صغيرةً ؛ إذ ليس من مكانٍ في العالم ، ولا إنسان يعيش فيه بمنجاة من شبكة الإعلام الممتدّة والمترامية ، والتي تقرع بكلِّ إصرار كلَّ باب حتى يُفتح ، وتدقّ بقوّة كلّ حاجزٍ حتى يزول ، وتنفتح على كلِّ عزلةٍ حتى تمحوها .

لقد أصبحت المادَّة الإعلاميَّة تصل إلى ملايين النَّاس في اللحظة الواحدة ، ويتلقّونها بأجهزة استقبالهم وهم في حجرات النوم أو أماكن الترفيه،حتَّى تعدَّت الوسائط الإعلاميَّة في مجتمعنا طور التوجيه والترشيد، إلى إنشاء التوجُّهات الجديدة في عالم النَّاس وجمهور المتأثّرين بها .

ولقد عُدَّ الإعلام من الثغرات التي يتسلَّل منها أعداء الإسلام ؛ لأنَّ ميدان الإعلام هو الإنسان : عقلاً ، وجسماً ، ووجداناً .

ووسائل الإعلام لا تتوقَّف على الصحيفة السيَّارة ، أوالمجلة الدوريَّة ، أو الكتاب المتداول، أو الإذاعة المسموعة أو المرئيَّة، أوالرسائل الكتابيَّة. إنَّها كثيرة ويتنوّع خطرها بسبب تنوّعها، ومن خلالها يغزو الأعداءُ المسلمين فكريًّا؛ لأنَّهم يرجون انتشار الفساد والتحلُّل ، ويطلبون فشوّ الخلاعة والمجون في العالم الإسلاميّ ، ويخصُّون منه هذه الديار الطيبة .

ولقد أُصيب الجيلُ المسلمُ –بسبب هذا الغزو المتعدِّد الوسائل– في الصميم، فدخلت إلى عقول شبابنا وفتياتنا أفكار مستوردة خطيرة عن

طريق وسائل الإعلام المختلفة؛ بدءاً بالصحافة والمجلات والكتب، والسينما والتلفاز والفيديو، وانتهاءً بشبكة الإنترنت والأطباق الفضائيَّة "الدشوش"، ومروراً بآلاف الكتب والقصص الغراميَّة[1] والمجلات الداعرة[2] التي تدعو إلى الفساد علناً ، وتحثّ على الفاحشة جهاراً نهاراً ؛ فصار أكثر الجيل المسلم المعاصر ((ضعيفاً، مضيَّعاً، مهدورَ الفكر، مشتَّتَ الهدف، ممزَّق الهويّة ؛ فهو يرى في التلفاز ، ويسمع من المذياع ، ويُطالع في الصحيفة، ويقرأ في الكتاب كلّ ما يُريد العدوّ أن يراه أو يسمعه أو يقرأه، من وجهة نظرٍ لا تخدم قضيَّة من قضايا ديار الإسلام ، ولا ترتبط بجانب من جوانب الدعوة ، ولا تُحقِّق لنا غاية كريمة تطمح لها أجيال أُمّتنا المتلاحقة))[3] .

ولقد نجح أعداء الإسلام –وللأسف الشديد– في غزو معظم المجتمعات الإسلاميَّة عن طريق وسائل الإعلام، ولم يبق صامداً سوى هذه الدولة –أمل الأمَّة بعد الله ﷻ–، فلا غرو أن تُدبَّر لها المكائد، وتُوجَّه ضدّها الأقلام المأجورة .

فهو غزوٌ ، لكنَّه في الصميم ، وحربٌ شرسة ، لكنْ بوسائل مختلفة .

فالشيوعيُّون ، والأمريكيُّون، والأوروبيُّون وسائر أعداء الدين يتخذون من وسائل الإعلام منابر تُروِّج مبادءهم وأفكارهم، ويتخذون من "السينما"، و"التلفزيون" ، والصحيفة ، والإذاعة ، ووكالات الأنباء أدواتٍ لنشر ثقافتهم وفلسفتهم في الحياة ، وطريقتهم في السلوك .

---

(١) مثل روايات "عبير"، وروايات "زهور"، وغيرها من الروايات التي تملأ أرفف المكتبات.

(٢) مثل مجلة "ريما"، و"فوتو ريما"، و"الموعد"، و"الصيَّاد"، و"الشبكة"، و"سمر"، ونحوها .

(٣) الإعلام وأثره في تربية النشئ،لنعمات هاشم،ضمن مجلة الجندي المسلم،ع٣٠،ص٤٥.

وكذا اليهود سخَّروا أجهزة إعلامهم الخاصَّة ، وأجهزة الإعلام الخاضعة لتأثيرهم ونشاطهم في سبيل نشر الإباحيَّة والانحلال بين المسلمين، خدمةً لمبادئهم ونصرةً لقضاياهم ، وتحقيقاً لأهدافهم ، وتشنيعاً على أعدائهم من المسلمين .

وأكثر الإعلاميِّين في بلاد المسلمين يقفون مكتوفي الأيدي أمام هذا الغزو المنظَّم المتواصل، ويقول بعضهم : ((ليست مهمّتنا أن نُربِّي وأن نُوجِّه، وإنَّما مهمّتنا أن نكون مرآة تعرض ما يدور في المجتمع. ومن أهدافنا : إرضاء أذواق المواطنين جميعاً ، كلٌّ وفق ما يرغب وما يُدوِّر))[1] .

وهذه الفلسفة من هؤلاء الإعلاميِّين وإن كانت مبنيَّة على استفتاءات، واستجابة لرغبات ، ونزولاً عند إرادات ، إلا أنَّها فلسفة خاسرة ، قد حكمت على أبناء الإسلام بالتفسُّخ ، وعلى كيان الأمَّة بالدمار ، ذلك أنَّ فلسفة "المرآة هذه" ((فلسفة سلبيَّة تعكس الخير والشرّ ، والنظافة والقذارة ، والقبح والجمال، دون أن يكون لها دورٌ في التغيير نحو الأفضل، أو التبديل نحو الأصل . إنَّ فلسفة "المرآة" مرفوضة حتى في بيوتنا الخاصَّة ؛ إذ يقوم الواحد منَّا بغسل وجهه وتسريح شعره ، وتنظيف فمه وعينه ، ثمّ ينظر في المرآة ليرى ما يسرّه ويطمئنّ إليه من جمال مظهره الخارجيّ . وأمَّا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٦ . وقد نَقَلَ هذا الكلام أيضاً الدكتور عمر الخطيب ، الأستاذ بجامعة الملك سعود، قسم الإعلام، وصاحب البرنامج المشهور : "بنك المعلومات"، فقال : ((إنّ بعض المسؤولين عن الإعلام في العالم العربي ، إذا سُئلوا : لماذا تُقدِّمون هذه الأفلام الهابطة ؟ قالوا : إنّ الجمهور يُريد هذا ...)) . قال هذا في الندوة التي عقدها الحرس الوطني على هامش الجنادرية عام ١٤٠٩هـ حول البثّ المباشر .

الباطن : فالله الذي يعلمه ويطّلع عليه))[1] . فمقياس الاستفتاءات والإحصاءات ، وتبنِّي الرغبات والميول ليس مقياساً موضوعيًّا ولا صحيحاً ، وإن لزم الالتزام بنتائجه في مجتمع آخر غربيّ أو شرقيّ ، فلا يصحّ الالتزام به عندنا في مجتمعنا الذي تحكمنا فيه القوانين الإلهيَّة .

هذا أمرٌ أحببتُ توضيحه بين يدي هذا المبحث .

ولبيان دور وسائل الإعلام المختلفة في تغريب مجتمعنا، ومسخ عقيدة أبنائنا قسَّمتُ هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإعلام المكتوب .

المطلب الثاني : الإعلام المرئيّ والمسموع .

المطلب الثالث : الشبكة العالميَّة للمعلومات "الإنترنت" .

المطلب الأول : الإعلام المكتوب
من الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكري

أدخل أعداء الإسلام في العصر الحاضر على المسلمين تيَّارات إلحاديَّة، هاجمت دينهم حيناً، وانحرفت بهم أحياناً باسم التمدُّن والسموّ بالإنسان .

ولقد اعتنق هذه التيَّارات عددٌ مِن أبناء جلدتنا مِمَّن يتكلَّمون بألسنتنا، من حملة الأقلام ، الذين أرادوا أن يلفتوا الأنظار إليهم ، وأن تُسلَّط الأضواء عليهم في ظلّ ما يُسمَّى في بعض بلاد المسلمين بـ"حرية الكلمة" ، فبدأوا يشرئبُّون بأعناقهم ، وأخذوا ينشرون أفكارهم المستخفَّة

---

(١) المرجع السابق .

بالله ﷻ، ورسوله، ودينه، في بعض الصحف والمجلاَّت، مقتدين في ذلك بمثلهم الأعلى : "علي عبد الرازق"، صاحب كتاب "الإسلام وأصول الحكم"[١]؛ و"طه حسين"، صاحب كتاب "في الشعر الجاهلي"[٢]،وكتاب "في الأدب الجاهلي"[٣]،و"الفتنة الكبرى"[٤]، و"حديث الأربعاء"[٥] ؛ و"زكي مبارك"، صاحب كتاب "النثر الفنِّي في القرن الرابع الهجري"[٦]، وغيرهم من أصحاب الأقلام المأجورة ، الذين جمعوا في تطاولهم على الإسلام بين الهواية والهوى، فكانوا شرًّا عليه من خصومه ، وأعدى من أعدائه . وتبعهم في صنيعهم هذا بعض من يصدِّرون آراءهم لا عن فقه، ولا عن إيمان . ووصلت مقالات أكثر هؤلاء إلى مجلات تصدر في بلاد المسلمين ، ويقوم بقراءتها ملايين المسلمين، فشاركوا أعداء الدين في هجومهم عليه .

نشرت إحدى المجلات[٧] التي تصدر في دولة عربية شعراً حداثيًّا فيه هجوم صريح ، وإساءة بالغة إلى الذات الإلهيَّة . ومن ذلك قول قائله فضَّ الله فاه :

كان الله قديماً .. حبًّا .. كان سحابة

---

(١) الذي يتضمَّن التشكيك في الشريعة الإسلاميَّة .
(٢) الذي يتضمَّن التشكيك في القرآن الكريم .
(٣) الذي ملأه بالطعن في الإسلام والرسول ﷺ .
(٤) الذي هاجم فيه السيرة المطهَّرة .
(٥) الذي يُعدّ إحياء للأدب الفاضح .
(٦) الذي يتضمَّن التشكيك في القرآن الكريم .
(٧) وهي مجلة العربي في عددها الصادر في ربيع الثاني عام ١٤٠١هـ ، تحت باب حديث الشهر ، في مقال عنوانه : " لا بُدَّ من صنعا ... وإن طال السفر" .

كان نهاراً في الليل
وأغنية تتمدَّد فوق جبال الحزن
كان سماء تغسل بالأمطار الخضراء تجاعيد الأرض
أين ارتحلت سفن الله .. الأغنية .. الثورة ؟
صار رماداً .... صمتاً
رعباً في كفِّ الجلاَّدين
أرضاً تتورَّم بالبترول
حقلاً يُنتج سبحات عمائم
والرعب القادم من "هوليود"
في أشرطة التسجيل
في رزم الدولارات
ماذا نختار ؟
اختار الله .. الأغنية .. الثورة ..

وهذه الأبيات من ثمرات الفكر الإلحاديّ الذي يظنّ أنَّ الله ﷻ هو الطبيعة. ولا يستطيع القارئ لها أنْ يجد لقائلها مخرجاً –ففنون البلاغة والأدب لا تستطيع إخفاء تلك النفثات الإلحاديَّة– ، ومهما حاولنا أن نُخرِج هذه المعاني من مخارج المجاز ، ومسالك البلاغة ، فلن نجدَ إلا مخرجاً واحداً ومسلكاً وحيداً ، هو الاستخفاف بذات الله ﷻ ، والكفر بأسمائه وصفاته .

وقد مدح رئيس تحرير تلك المجلة ذلك الشعر، ووصفه بأنَّه شعر تمرُّد، وذكر أن الباعث عليه هو قهر القرون الجاثمة الذي يجعل ردّ الفعل في نفس مستوى العنف والجرأة والاندفاع ، بنفس درجة القهر .

ونسي رئيس التحرير أو تناسى أنّ الهجوم في هذه الأبيات القبيحة قد وقع على الذات الإلهيَّة ؛ على الله الذي ليس كمثله شيء ، الذي لم يكن سحاباً ، بل

خلق السحاب ، ولم يكن نهاراً ، بل خلق النهار ، ولم يكن أغنية، ولم يصر رماداً ولا صمتاً، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيراً.

وليس هذا فحسب، بل لقد تعالت أصوات كثيرٍ من الملحدين في كثيرٍ من بلاد المسلمين، فنشروا كتباً كيل فيها للإسلام من التُّهم والتجريح ما لا علم للإسلام به، ولا شَرَعَه في قوانينه، ولا عقائده. ورُمي -من خلالها- نبيّ الإسلام محمّدٌ ﷺ بالكذب والاحتيال، وصُوِّر صحابته ﷺ بصورٍ تتنافى مع الإسلام الذي حملوه ، وبذلوا في سبيل نشره الغالي والنفيس .

فهذا أحد "البعثيِّين"[1] يكتب مقالاً في إحدى المجلات[2]، بعنوان : "الطريق لخلق إنساننا العربي الجديد" يقول فيه : ((استنجدت أمَّة العرب بالإله، وفتَّشت عن القيم القديمة في الإسلام والمسيحيَّة ، واستعانت بالنظام الإقطاعي والرأسماليَّة وبعض النظم المعروفة في العصور الوسطى ، كلّ ذلك لم يُجد فتيلاً .. -إلى أن قال :- والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع هو خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد..)). ثمّ تساءل-قاتله الله- : ما هو الإنسان الذي يُريده؟ وأجاب : ((هو الإنسان الذي يُؤمن أنَّ الله، والأديان، والإقطاع، والرأسماليَّة ، والاستعمار، والمتخَمين، وكلّ القيم التي سادت المجتمع السابق ، ليست إلا دمى محنَّطة في متاحف التاريخ)) .

---

(١) وهو البعثي إبراهيم خلاص ، من المنتسبين إلى حزب البعث العربي الاشتراكي .
(٢) وهي مجلة "جيش الشعب" السوريَّة ، الصادرة عام ١٩٦٧م .

وهذه الدعوة إلى هدم العقيدة، والأديان، والأخلاق، ليست بمستغربة على بعثيّ ، عقيدته هي العلمانيَّة الكافرة ، ودينه هو الاشتراكيَّة الجائرة ، وهو يُردِّد مع شاعر البعثيِّين قوله :

آمنتُ بالبعث ربًّا لا شريك له وبالعروبة ديناً ما له ثاني

فهذه معتقداتهم التي جُلبت إلينا من أعداء الإسلام[1] .

ويعترينا الحزن والأسى حين نرى إحدى المجلات الصادرة في دولة عربيَّة تُشارك في حملةٍ للترويج للمنصِّرين ، وتدعم هجمتهم التنصيريَّة على العالم الإسلامي[2] ، بل وتحتفل بقيام وتأسيس إحدى دول الغرب بأكثر من عشر مقالات ، غطَّت ثلث صفحاتها[3] .

وأُخرى تُنادي بفتح باب الاختلاط أمام الجنسين في كلّ مراحل التعليم[4] .

ويزداد الحزن والأسى حين نرى سفيراً من سفراء إحدى الدول العربيَّة يُهاجم الإسلام على صفحات إحدى المجلاَّت[5] ، ويتّهم المسلمين بأنَّهم تأثَّروا في عقائدهم تأثُّراً عظيماً بالعقائد اليهوديَّة والنصرانيَّة ، وأنَّهم زوَّروا الأحاديث النبويَّة ، ثمّ يصف الشريعة الإسلاميَّة بالجمود ، وبعدم مواءمتها لظروف المجتمع، و.... ، إلى آخر هذيانه الباطل .

---

(١) انظر للاطلاع على معتقداتهم وتاريخها كتاب : حزب البعث : تاريخه وعقائده ، لسعيد ابن ناصر الغامدي .
(٢) وهي مجلة العربي في عددها الصادر في ابريل –نيسان– عام ١٩٧٦م .
(٣) في عددها الصادر في رجب عام ١٣٩٦هـ ، يوليو –تموز– عام ١٩٧٦م .
(٤) وهي جريدة الأهرام "المصرية" في عددها الصادر يوم ١٣/٣/١٩٧٦م .
(٥) وهي مجلة "المصوّر" . (انظر مجلة الاعتصام، العدد ١٢، السنة ٥١، ص١٦–٢٠) .

ويتضاعف الحزن حين نقرأ مقالاً -في إحدى المجلات[1]- لأستاذ جامعيّ ، يُسيء الأدب فيه مع نبيّ الإسلام ﷺ، ويتّهمه بالفشل في تبليغ الدعوة في المجتمع المكي . ويتطاول على الإسلام وتعاليمه ، ويصف حروب الشيخين -رضي الله عنهما- بأنّها كانت حروب سياسيَّة ، فيقول : ((ولم يفسد الإسلام إلا حين ارتبط بالسياسة ، بدءاً من حروب الردَّة ، واغتيال عثمان بن عفَّان ، فحرب الجمل ، فموقعة صفِّين ، ثمَّ الصراع على الخلافة)) .

فحروب الردَّة -عند هذا الأستاذ الجامعي- حروبٌ سياسيَّة لا دينيَّة، وهي التي أفسدت الإسلام -بزعمه-، لا هو وأمثاله مِمَّن يتطالون على الإسلام وعلى تعاليمه، ويُسيئون الأدب مع رسول الله ﷺ دون رادع أو حسيب.

وتأتي مجلة تحمل اسم "الوطن العربيّ" ، لتُخصِّص ثلاث صفحات في كلِّ عددٍ من أعدادها للحديث عن نجوم السينما العالميَّة ، تُركِّز الأضواء فيها على ممثِّلات من نوعٍ معيَّن ؛ نوعٍ يُؤدِّي أدوار الجنس الفاضح والخليع ، وتتحدَّث عنهنّ حديثاً مثيراً ومُخْجِلاً .

وفي عددٍ وقع بيدي ، وجدتها قد ركَّزت الأضواء على عددٍ من الممثلات هنّ "سيسليا" ، و"آن بارلا" ، و"سيزان ساراندون" ، و"ناستازيا" . وتقول عن "سِيسليا": إنَّها امرأة تُكهرب الذين غرقوا في روتين الحياة الزوجيَّة . ثمّ أخذت المجلة تبرِّر بعض تصرّفاتها المنحرفة فقالت : ((في

---

(١) هو الدكتور أحمد البغدادي. وقد نشرت له مقاله: مجلة "الشعلة" في عددها رقم ٢٥ ، شهر يوليو -حزيران- ١٩٩٦م .

غضون ذلك تبدو "سيسليا" امرأة تُريد أن تضع في فمها أكثر من لقمة حُبّ ؛ ففي الوقت الذي تعيش فيه مع زوجها "إيف بييرتون" موسم عشق حافل، فقد مدَّت شبكتها في اتجاه معجب يتيم يُدعى "فيتوريو ميزيجيو رنو" ، ومعه سرحت ومرحت في جنوب إيطاليا ، وعادت لتُخبر زوجها عن اكتشافٍ لم يخطر ببال بشر وَجَدَتْهُ مع كبير الحظ "فيتوريو" ...))[1] .

وفي عددٍ آخر، ألقت الأضواء على عددٍ آخر من الممثِّلين والممثلات ، من أمثال : "جين مانسون" المطربة الأمريكية الأصل ، الفرنسيَّة الإقامة ، الشرقيَّة الحبِّ والهوى –على حدِّ تعبير المجلَّة– ، والفنانة "أدويج فويير" ، ونجم البيتلز "بول ماك كارتني" ، و"ستيف وندر" ، وغيرهم[2] .

وهكذا تمضي هذه المجلة –في سائر أعدادها– على نفس النسق والمنوال لتسوق لأبنائنا قصص الأخريات والآخرين ، وهي قصص تشمل مزيجاً من التحريض والإثارة والتحلُّل والاستهتار بقيمنا وأخلاقنا وديننا .

وتنشر صحيفة أُخرى من الصحف اليوميَّة الصادرة في بلدٍ إسلاميّ إعلاناً عن عطر نسائيّ من منتوجات "كريستيان ديور" ، استوحى فيه مصمِّم الإعلان امرأة في مخدعها "منبطحة" بصورةٍ دنيئة ومخجلة وخبيثة ، يأنف كلُّ غيورٍ أن تراها إحدى محارمه أو أحد أبنائه الشباب . ولست أدري : لِمَ هذا الابتذال الرخيص والاندحار المريع بقيم وأخلاق الشباب إلى هذا الدرك ؟!

---

(١) راجع مجلة "الوطن العربي" ، العدد ٣٢٥ .

(٢) الدورية السابقة ، العدد ٢١٥ .

ودونك الكثير من المطبوعات الدوريَّة ، أو المجلَّات ، أو الصحف ، التي تصدر في كثيرٍ من بلاد المسلمين، لترى مظاهر الغزو الثقافيّ فيها ؛ من نشر أنباء عالميَّة متحيِّزة ضدّ الإسلام دون تعليق ، أو نشر صورٍ خليعة لنجوم وفنَّانات في مناسبات مختلفة ، أو نشر إعلانات عن أفلام مخلَّة بالأدب ، أو الترويج الإعلاني والإعلامي لأعمال فنيَّة هابطة ، أو التعبير عن المجتمعات الغربيَّة وقيمها كنماذج تُحتذى ، أو القصص التي تُضعف إيمان المسلم بالغيبيَّات، أو الأشعار الساخرة من المسلم، أو المنحلَّة خُلُقيًّا ، أو غير ذلك من الأمور التي تدلّ على مقدار الخلط الذي وصلنا إليه في حياتنا ، ومدى الحيرة والتخبُّط الذي نعيشه . فإلى الله المشتكى ...

ويحدث هذا في وقتٍ قد رمى فيه أعداء الإسلامِ الإسلامَ عن قوسٍ واحدة. فجاء هؤلاء ليُكملوا التقطيع في جسده . والله متمّ نوره ولو كره الكافرون .

إنَّ اليهود والنصارى رغم ضلالهم وتحريف ديانتهم ، يُربُّون أبناءهم على احترام معتقداتهم الباطلة ؛ فاليهوديَّة التي أقامت على أنقاضنا دولةً تُريد اجتياح حاضرنا ومستقبلنا ، وهي تُربِّي النساء والأطفال لتحقيق هذه الغاية ، تعتَبِرُ المدرسةَ ثكنةً عسكريَّةً، والثكنة معبداً دينيًّا، والتوراة ديناً ودولة ..، والنصرانيَّة لا تتوانى عن تربية أولادها على احترام عقيدتهم التي لا يفهمها عقلاؤهم فضلاً عن عوامِّهم . أمَّا المسلمون : فإنَّ هجوم أبنائه عليه قبل أعدائه هو الواقع ..

سجَّل الشيخ عبد الله كنُّون في إحدى زياراته لأوروبا الكلمات التالية التي جاء فيها : ((أذكر للاعتبار أنِّي كنتُ في إسبانيا ذات مرَّة ، وصادف وجودي في غرناطة يوم الاثنين ، وهو يومٌ تُعطِّل فيه الصحف الإسبانيَّة ، ولا تصدر فيه

إلا جريدة واحدة تُسمَّى صحيفة "الاثنين" ، فأخذتُ هذه الجريدة لأنظر فيها أنباء اليوم ، فإذا داخلها ملحقٌ صغيرٌ للأطفال يكاد يستغرقه كلَّه مقالٌ رئيسيٌّ بعنوان : "محمَّد النبيّ المزيَّف ..." كُتِبَ بلغة سهلةٍ مبسَّطة ، ولكنَّها مليئةٌ بالهزء والسخرية ! وقد بُنِيَ المقال على فكرة أنَّ القرآن مقتبَسٌ من التوراة والإنجيل اقتباساً مشوَّهاً ؛ لأنَّ صاحبه -على حدّ تعبير الكاتب- كان أُمِّيًّا لا يعرف قراءة ولا كتابة ، وإنَّما تلقَّف ما ضمّنه كتابه من أفواه اليهود الذين كانوا يسكنون جزيرة العرب ، ومن بعض الرهبان الذين لقيهم في أثناء رحلته إلى الشام)) ..

ثمّ عقَّب الشيخُ على هذا بقوله : ((وهكذا يعمل النصارى على تنشئة أبنائهم منذ الصّغر على احترام عقيدتهم -وحدها- ، ويُرابط الكاثوليك في حصن غرناطة ، مستأنفين إلى اليوم مطاردة الإسلام حتى في نشرات الأطفال بعد أن أجلوا أتباعه من هذا الحصن قبل بضعة قرون))[1] .

فإذا كان هؤلاء يُربُّون أولادهم على هذا الغرار، فكيف نُربّي نحن أولادنا ؟!! إجابةٌ مريرةٌ أدعها للقارئ الكريم ..

المطلب الثاني : الإعلام المسموع والمرئي من الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكري

غزت الحضارة الماديَّة -التي ترى أنَّ سعادة الإنسان في هذه الدنيا، لا تعدو أن تكون إشباعاً لغرائزه الماديَّة- مجتمعاتِنا الإسلاميَّةَ ، ودخلت عليها من ثغرات متعدِّدة -كان من أخطرها: الإعلام بنوعيه المسموع والمرئيّ-،

---

(١) نقل عنه ذلك الشيخ محمد الغزالي في مقالته التي وسمها بـــ"عندما يكون الإلحاد أذكى" ونشرها مجلة الأمة في العدد الثاني والثلاثين ، ص ٩ .

فقتلت بذرة الإيمان في نفوس شرائح كثيرة كانت قد فُطِرَت على حبِّ الخير والتعلُّق بالفضيلة ، ورُجِيَ منها خيرٌ كثيرٌ لو هُيِّئت لها أسباب النماء في محاضن الطهر والعفاف .

وقد تمَّ حصار العالَم الإسلاميّ بهذه الوسائل ((التي تُؤدِّي أدواراً مخطَّطة للتشكيك في الدين الإسلاميّ ، وتَنْشط في دعم الصهيونيَّة وتكريس مشروعاتها التوسّعيَّة على حساب العرب والمسلمين ، واستدراج المسلمين بعيداً عن قضاياهم الحيويَّة، بما تُقدِّمه من برامج شائقة، وأساليب جذَّابة ممزوجة بإغراءات ماديَّة وإثارة جنسيَّة، وإعلانات تسعى إلى تغيير أنماط السلوك والعادات والقيم والثقافة ، حتى يفقد المسلم ثقافته وهويَّته ، ويتمّ تحييده بالنسبة لقضاياه المصيريَّة))[1] .

وخطر هذه الوسائل المسموعة والمرئيَّة ملحوظ ، ولا يخفى على العقلاء .

ويُمكن التنبيه على بعضها من خلال المسألَتَيْن التاليَتَيْن :

المسألة الأولى : الإعلام المسموع "الإذاعات"

الإعلام المسموع "الإذاعات" من أوسع القنوات الإعلاميَّة انتشاراً ؛ إذ يشترك فيه المتعلِّم والعاميّ، والصغير والكبير، والرجل والمرأة.ومِمَّا يُساعد على انتشاره : قلّة تكلفته الماديَّة مقارنة ببقيَّة الوسائل .

ويظهر خطره لنا واضحاً، عندما نعلم أنَّ هناك آلاف الإذاعات التنصيريَّة الموجَّهة إلى بلاد المسلمين ، والتي تعمل بجدٍّ ونشاطٍ غير عاديّ في نشر ثقافة النصارى، وبثّ قيمهم ، والدعوة إلى دينهم[2] .

---

(١) الإذاعة الإسلاميَّة المسموعة والمرئيَّة وطموحات المستقبل، لعبدالمجيدشكري، ص٤٨٢.

(٢) انظر الغزو الثقافي : الصورة الجديدة للاستعمار ، لعبد القادر طاش ، مقال في مجلة "الأمَّة" ، العدد العاشر ، ص ٣١ .

ومن أخطر الإذاعات التنصيريَّة الخاصَّة بنشر الإنجيل بصورة علنيَّة ، أو خفيَّة متوارية : إذاعة "مونت كارلو"، وإذاعة "صوت الغفران"، وإذاعة "مركز النهضة" ، وإذاعة "قبرص" في نيقوسيا ، وغيرها[١] .

المسألة الثانية : الإعلام المرئيّ

أثبتت الدراسات والبحوث العلميَّة أنَّ تأثير الإعلام المرئيّ لا تُقاربه أي وسيلة أخرى ؛ فقد انتشرت أجهزته -كالتلفزيون والفيديو- حتى قلّ أن يخلو منها بيت، أضف إلى ذلك كثرة عدد الساعات التي يقضيها المرء أمامها؛ فقد ذكر الدكتور"حمود البدر" أنَّ الدراسات والأبحاث أثبتت أنَّ بعض الطلاب عندما يتخرَّج من المرحلة الثانويَّة، يكون قد أمضى أمام جهاز التلفزيون أكثر من خمس عشرة ألف ساعة ، بينما لا يكون قد أمضى في حجرات الدراسة أكثر من عشرة آلاف وثمانمائة ساعة على أقصى تقدير . ويُضاف إلى ذلك طول مدَّة البث يوميًّا دون عطلة أسبوعيَّة أو إجازة سنويَّة، مع الحالة النفسيَّة الجيدة للمتلقِّي الراغب في المشاهدة، المتلذِّذ بما يرى، والتي لا تلتقي في الغالب مع حالة الطالب في مدرسته ، بين زملائه وأمام مدرِّسيه[٢] .

فالتلفزيون يُعتبر وسيلة الاتِّصال الأولى من حيث قدرته على التأثير المباشر على المشاهد لتغيير مواقفه وسلوكه ، لتُطابق وتُوافق النوايا والبواعث التي يُريدها القائم على هذا الجهاز .

---

(١) انظر أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، لعبد الرحمن الميداني ، ص ١٠٥ .

(٢) انظر البث المباشر : حقائق وأرقام ، للدكتور ناصر العمر ، ص ١٤-١٥ .

من أجل ذلك استغله أعداء الإسلام في غزوهم للمسلمين .

أمّا كيف دخل الغزو الفكريّ عن طريق هذه الثغرة ؟ فجواب ذلك معلومٌ لدينا ؛ فحضارة الغرب خلّفت صرعى لثقافته، ومستعبَدين لفكره، ومأسورين بنمط حياته وطريقة عيشه ، مِمَّن ذهبوا إلى بلاد الغرب للدراسة ، ثمّ تمكّنوا من الوصول إلى دفّة التوجيه الإعلاميّ في بعض بلاد المسلمين ؛ حيث تَرَكَتْ لهم تلك المجتمعات الإسلاميَّة أمر القيادة والتوجيه، وسلَّمت لهم زمامها، فسلكوا بها دروباً أسرت لُبَّها، ووافقت هواها وأمزجتها، ونقلوا للأمَّة أصول ثقافة صارت تُشارك ثقافتهم دارها، وتنتزع أبناءها ، إلى أن وصلت إلى وقت أضحت فيه لا ترضى بربَّة الدار وصاحبته ، فصارت تزعم أنَّها الأصل وأنَّ تلك هي الغريبة التي تستحق الإبعاد والطرد .

وحول هذا المعنى يقول الدكتور عمارة نجيب -مجيباً عن سؤال قد يدور في الأذهان- : ((وإن كان من حقِّ أيّ عاقلٍ أن يتساءل عن سرٍّ تصوير الأمر على أنّه خطّة وعلى أنّه حصار ثقافيّ مفروضٌ لهدم قيم ومبادئ هذا البلد المسلم وليس كما يظنّ حسنو النيَّة مجرّد الرغبة في الإثراء، أو غيره.. فأمامنا الآن أمثلة عديدة يقوم بإخراجها القطاع العام للمسرح والتلفزيون ، ولا يوجد من ورائها مكسب أو دافع ماديّ ، غير مصلحة شخصيَّة اعتباريَّة واحدة ، هي : الجبهة المعادية لهذا البلد المسلم ، المتربّصة به وبمبادئه وقيمه))[1] .

---

(١) فنون المسرح ومخطط الهدم ، للدكتور عمارة نجيب . مقال في مجلة الدعوة المصرية ، العدد التاسع ، السنة السادسة والعشرون ، ص ٢٢-٢٣ .

وحتى لا يكون الدكتور عمارة نجيب مِمَّن يُلقون الاتهامات دون دليل ، يعود بالقارئ إلى حديث مدير عام الرقابة على الإذاعة والتلفزيون المصري -الأسبق- ، فيقول : ((أمَّا الحديث : فقد نشرته إحدى المجلات الأسبوعيَّة تحت عنوان: "حصاد سينما ٧٦:حرية في التعبير وثورة في التصوير"، إذ راح بعد كثيرٍ من التفكير يُلهب بلسانه السليط كلَّ الذين يُهاجمون أفلام "الكرنك"، "المذنبون"، "العش الهادئ"،"عودة الابن الضالّ" معتبراً هذه الأفلام من علامات التحوّل في السينما المصريَّة ، مؤكِّداً ضرورة مسايرة التطوّر العالميّ للسينما ، واصفاً حجج المعارضين -ومنها الآداب العامَّة- بأنَّها حججٌ مستهلكة ، وبأنَّها مترسبة من ماض انتهى ، ويجب في نظره ألا يعود ..)) . ثمّ يستطرد في سوق الأدلة الصريحة من أقوال من يُمثِّل الثقافة المفروضة على بعض بلاد المسلمين، ضمن الحصار الثقافي الهدَّام ، الذي تولَّى كبره أعداء الإسلام[١] .

الفضائيَّات والغزو الفكريّ :

ومن الظواهر السيِّئة التي تطفو اليوم على سطح مجتمعاتنا الإسلاميَّة : الفضائيَّات ، وما أدراك ما الفضائيَّات ؟ إنَّها الشبكة أو الطُّعْمُ أو الفخّ الذي يُنصب للنَّاس، فيحسبونه غذاء لذيذاً مُمْتِعاً، ولا يدرون أنَّهم هم الغذاء الذي سيُلتَهَمْ . وقديماً قيل لِـ"كارل ماركس" : إنَّ من مساوئ الشيوعيَّة مصادمتها لفطرة النَّاس ، فماذا نفعل ؟ قال : ((ألْهُوهم بالفنّ ، فإنَّه يحلّ محلّ الدين))[٢] .

---

(١) الدورية نفسها .

(٢) نقلاً عن مجلة "الاعتصام" ، السنة الثانية والأربعون ، العدد العاشر ، ص ٣٢ .

وأكثر فضائيَّاتنا تُقدِّم لمجتمعاتنا الإسلاميَّة ثقافاتٍ مختلفةً عن واقعنا الإسلاميّ.

ومن الظواهر السيِّئة التي تطفو اليوم على شاشات فضائيَّاتنا : "الأفلام" الهابطة ، من غربيَّة وعربيَّة ، تُقدَّم للنَّاس على أنَّها عمليَّات تسلية وإضحاك وتزجية للفراغ، بوسائل تُؤذي المشاعر، وتجرح الحياء، وتقضي على الفضيلة .

فحسبك أن تنتبه إلى الممارسات السّلوكيَّة التي تحدث في أكثر الأفلام المعروضة ، فسوف ترى خيانة المرأة لزوجها عملاً طبيعيًّا تطلب به حقًّا ، أو تردّ به على موقف لم ترض عنه . وترى نظيرَه من الرجل تحلُّلاً من مسؤوليَّة ، أو انهماكاً في شهوة ، تحت مسمَّى الحريَّة ، أو ممارسة حقِّه في الحياة . وإلى جانب هذين : ترى البنت قد شقَّت عصا الطاعة على أبويها ، وكذا أخوها ..

والمسلم حين يرى هذا السمّ الزعاف يُعرض عليه ، قد ينفعل به ، أو تظهر على وجهه علامات استفهام سبب ظهورها -بالدرجة الأولى- عدم فهمه للإسلام على حقيقته، وعدم معرفته أنَّ هناك نظاماً إلهيًّا يحكم العلاقة الأُسريَّة ، ويُعطي لكلِّ واحدٍ من أفرادها حقوقاً لا يجوز تجاوزها أو التهاون في القيام بأدائها . ويظنّ الرائيّ أنَّ مجتمعاتنا صارت مراتع خصبة تعدو فيها الجريمة، بلا محظورات، وتجول بين جنباتها كلّ صنوف الرذائل والجرائم، بسبب تلك الأفلام التي يراها تُعبِّر عن مجتمع جديرٍ بأن يكون مجتمعاً وجوديًّا .

ولو تركنا خطر فضائيَّاتنا ، واتجهنا نحو فضائيَّات أعدائنا ، لوجدنا القنوات اليهوديَّة التي يُمكن التقاطها في أكثر بلاد المسلمين تبثُّ الدعوة إلى الإباحيَّة في أفلام جنسيَّة فاضحة ، ليس من ورائها هدفٌ ولا فكرةٌ إلا إغواء الشباب ، وجرّهم إلى طريق الانحراف، وإبعادهم عن الاهتمام بالأمور العظام، والانشغال بقضايا أُمَّتهم ؛ فهي تمثِّل حرباً جنسيَّة تستهدف تدمير طاقات الشباب الذي يُعاني من تأخُّر سنّ الزواج في أكثر بلاد المسلمين لأسباب اقتصاديَّة .

وكذا الحال في غيرها من الفضائيَّات الأجنبيَّة، سيّما أفلامها التي بلغ منتجوها من القذارة مبلغاً لم يقتصروا فيه على عرض العمليَّات الجنسيَّة الطبيعيَّة ، بل تعدَّوْه إلى عرض الشذوذ الجنسيّ من "لواط" ، و"سحاق" ، وغيرهما .

إنَّها وجوديَّة "جون بول سارتر" تُقدَّم إلينا في صورةٍ مرغِّبة ، وتُعرض علينا في شكلٍ مشوِّق ، لتبدأ هدم معتقداتنا وقيمنا وحصوننا من الداخل(١) .

والملاحظ على أكثر الشباب -في وقتنا الحاضر- اهتمامهم ببرامج القنوات الفضائيَّة الأجنبيَّة، بسبب قُربها من رغباتهم الغريزيَّة ، وهو الأمر الذي قد يؤدِّي إلى هروبهم من برامجهم التلفزيونيَّة الوطنيَّة ، بل هروبهم من محيطهم الاجتماعيّ، مِمَّا يُؤدِّي إلى تكوين خصائص سلوكيَّة مضطربة ، تجعلهم ينتقلون من الفعل إلى موقع الانفعال ، ومن ميدان التأثير ، إلى خانة التأثُّر والاستلاب .

---

(١) انظر أضواء على أفلام الفيديو ، للدكتور محمود عبده ، ص ٥٣ .

وهـذا سـيؤدِّي -مسـتقبلاً- إلى تفلُّت هـؤلاء الشـباب مـن قـيمهم وتقاليدهم، وتمرّدهم عليها، لظنِّهم أنَّها قيودٌ، ينبغي عليهم التحرُّر منها .

فـلماذا تتنافس أكـثر فضـائيَّاتنا عـلى بـثّ الـبرامج الـتي تُشجِّع عـلى الانحـلال فـتكون مـثل الفضـائيَّات الـيهوديَّة والنصـرانيَّة وغيرهـا مـن الفضـائيَّات المعادية للإسلام ؟ ألا تكـون بذلـك قد ساعدت أعداءنا على إفساد شبابنا المسلم ؟!

إنَّ سلبيَّات الفضائيَّات لا تُقاس بكمِّها، إذ ليست العبرة بالكمِّ هاهنا، وإنَّما العبرة بالنوع؛ لأنَّ خطرها أشبه بأخطاء الأطباء مع المرضى،والتي كثيراً ما تكون نتائجها خسائر يصعب تعويضها وإصلاحها، وقد تكون الموت في أحيان كثيرة . لكنّ الموت هاهنا ذو صيغة أشبه بالانتحار الجماعيّ ، فليس هو قصراً على أفراد معدودين، وإنَّما يطال أجيالاً من النَّاس، وحشداً من القيم، وبناء ثقافيًّا حضاريًّا كاملاً يتغلغله الدين ويسري في كيانه، ويكاد يتّصل بكلّ جزئيَّة من جزئيَّاته . ومن هنا كان خطأ الإعلام خطيئة كبرى، لأنَّه خطأ قاتل ، وأثره أثرٌ جماعيّ لا فرديّ أو محصور[1] .

البث المباشر والغزو الفكري :

البثّ المباشر هو : قيام الأقمار الصناعيَّة بالتقاط البثّ التلفزيونيّ في بلدٍ من البلدان، وبثّه مباشرة إلى أماكن تبتعد عن مكان البثّ الأصلي مسافات بعيدة .

ولقد كان كثيرٌ في هذا العالَم يتطلّعون إلى اليوم الذي يستطيع فيه التلفزيون الوصول إلى كلِّ شعوب الأرض في نفس الساعة واللحظة التي

---

(١) انظر التقرير الذي أعدَّته مجلة "المجتمع" عن التلفاز في مجتمعنا : الواقع القائم والدور المرتجى ، العدد ٦٠٣ ، ص ١٠-١١ .

يقع فيها الحدث كما هو حال المذياع[1] . وتمَّ لهم ما أرادوا بواسطة "البث المباشر" .

وأمام امتلاك الغرب لناصية التقدُّم ، واحتكاره لصناعة تقنيات الاتصال والإعلام والمعلومات ، نشطت الجهود والمحاولات الغربيَّة لتوظيف البيئة الجديدة للاتصال الدولي لخدمة أهدافها ، وتحقيق مخططاتها في الهيمنة والسيطرة وغزو عقول شبابنا وتغريبهم .

ولقد أصبحت المجتمعات -ومن بينها كثيرٌ من الدول الإسلاميَّة- تتجه إلى الدخول في قالب ثقافي واحد ، يتمّ إعداده غالباً في الدول غير المسلمة ، بحكم سيطرتها على التكنولوجيا الحديثة التي مكّنتها من الاتصال بالشعوب الأخرى ، لعلمها أنَّ تغريب ثقافات الأمم الأخرى يطمس هويّتها ، ويمزقها من الداخل ، ليُصبح أفرادها مجرّد أجساد بلا عقل ولا انتماء[2] .

والبثّ المباشر استعمار جديد لبلاد المسلمين ، وهو أخطر من الاستعمار العسكري؛ إنَّه استعمارٌ للقلوب نستقبله بالترحاب، فيقضي على ديننا وقيمنا .

خطر الإعلام المرئي على الأطفال :

أمَّا في عالم الطفل: فلا يُوجَد حديثٌ في أغلب إعلامنا المرئي إلا عن مفاهيم أدب الطفل الغربيّ ، -مع أنَّه يختلف عن مفهوم أدب الطفل المسلم- . هذا في وقتٍ صار فيه الإعلام هو المصدر الأساس ، وربَّما الوحيد لتلقِّي الثقافة .

---

(١) انظر التكنولوجيا الحديثة والاتصال الدولي والإنترنت ، لعلي شمو ، ص ١٦٢ .

(٢) انظر : الإعلام الإسلامي : الواقع ، التحديات ، المستقبل ، ص ٨١ . وبث وافد على شاشات التلفزيون ، لانشراح الشال ، ص ١٣.

وأغلب "أفلام الكرتون" تحمل أساسيَّات في التصوّر تختلف عقيدة ومنهج حياة عن التصوّرات الإسلاميَّة ، بل وتتعارض معها ، كما نرى الكثير منها تؤدِّي بالأطفال المشاهدين إلى الإيمان بالسحر ، وأقلُّها خطراً يُرسِّخ الخرافة في المفاهيم ، ويحشو بها عقول الأطفال ، نتيجة لِما يعرضه من خوارق كاذبة ، أو شعوذة ماكرة .

ومن المؤسف أن نرى الآباء والأمّهات يُسلِّمون أبناءهم للتلفاز ليقوم بتربيتهم ، دون أن يُدركوا ما يُمثِّله ذلك من خطرٍ على ثقافتهم وشخصيّتهم . ويزداد أسفنا إذا علمنا أنَّ كثيراً من البرامج الأجنبيَّة التي تُبثّ على شاشاتنا من نوعٍ تنصيريّ ، يُحاول تحبيب الأطفال بما يُسيء إلى دينهم ، أو بعلاقات الحبّ والاختلاط المحرَّم بين الجنسين .

ولقد صار أطفالنا في ظلِّ الفضائيَّات والبثّ المباشر يُشاهدون أفلام العنف والجريمة يوميًّا ، حتى تواصى العقلاء بضرورة تحجيم الخطر قبل أن يستفحل . فقد شهدت "دبي" عام ١٤١٨هـ ندوة حول "أمن الطفل العربيّ" ، شارك فيها نخبةٌ من الخبراء والباحثين ، وقد ربطت هذه الندوة بين أمن الطفولة العربيَّة وبرامج العنف الموجَّهة للأطفال ، مشيرةً إلى ضرورة الاستعانة بالخبرات الأمنيَّة والتربويَّة والإعلاميَّة في تخطيط البرامج الموجَّهة للأطفال لتفعيل دورها ، وربطها بالواقع الاجتماعي للطفل العربي . ولقد ناشدت هذه الندوة في توصياتها وزراء الإعلام العرب اتّخاذ الإجراءات الكفيلة بإلزام المحطات الفضائيَّة العربيَّة غير الملتزمة في برامجها بالقواعد السلوكيَّة والأخلاقيَّة والتقاليد العربيَّة الراسخة باتخاذ

خطوة "التشفير" بحيث لا يُشاهدها سوى من يسعى إليها ، نظراً لِما لبرامجها من تأثيرٍ تربويّ وقِيَمِيّ خطيرٍ ومدمّرٍ على أمن الطفل . كما طالبت الندوة أجهزة الإعلام -خاصّة المرئيَّة- بالتدقيق في اختيار الموادّ الإعلانيَّة والإعلاميَّة الموجَّهة للأطفال لدعم إيجابيّاتها ، وتقليص سلبيَّاتها[1] .

وهناك العديد من الأبحاث والدراسات الميدانيَّة عن آثار مشاهد العنف من الناحية النفسيَّة على الأطفال ، أُجريت على آلاف الأطفال من مختلف الأعمار، ومختلف المستويات الدراسيَّة ، وكلُّها أكَّدت ميول الأطفال لمحاكاة النماذج الاعتدائيَّة التي تُقدِّمها الأفلام[2] ، بل إنَّه -أحياناً- يتجاوز حدود العدوان على الآخرين ، إلى العدوان على النّفس .

وعَقَدَ مركز الدراسات العليا للطفولة -التابع لجامعة عين شمس بالقاهرة- مؤتمره الخامس لدراسة تطوير سبل رعاية الطفولة، وحمايتها من الظواهر الطبيعيَّة وركَّز المؤتمر في جلساته على خطورة التأثير القيمي لوسائل الإعلام -سيّما التلفاز- على سلوكيَّات الطفل .

وذكر أحد الباحثين[3] أنَّ التلفاز يبثّ برامج ليس من السهل التعايش معها، وأنَّ نسبة برامج الأطفال المستوردة ٨٠٪ ، وأنَّ الساعات الموجَّهة

(١) تقرير أعدَّته مجلة "المجتمع" عن هذه الندوة ، في عددها ١٢٥٢ ، ص ٥٩ .
(٢) تقرير عن الآثار السلبيَّة لمشاهدة العنف والإجرام في التلفزيون والسينما على السلوك الإنساني، أعدَّه الدكتور إدريس الكتانيّ، ونشرته مجلة "الإصلاح" في عدديها ١٢١-١٢٢، (انظر العدد ١٢٢ ، ص ٢٨) .
(٣) وهو الدكتور فاروق أبو زيد ، عميد كليَّة الإعلام في جامعة عين شمس .

للأطفال تزيد عن (٤٥,٠٠٠) خمس وأربعين ألف ساعة سنويًّا ، وهي نسبة خطيرة على تشكيل عقليَّة وثقافة أبنائنا ، سيَّما وأكثر البرامج مستوردة ، وهي تكشف عمَّا يُعانيه أطفالنا من انفصام في شخصيّتهم ، ومن ضعفٍ في انتمائهم ، وتزعزعٍ في هويّتهم ، وانحسارٍ في قيمهم[١] .

ومن الجدير بالذكر أنَّ الأطفال العرب يُشاهدون في برامجهم -المستوردة- مشهدَ عنفٍ كلّ ثلاث عشرة (١٣) دقيقة ، ومجرماً عريقاً في الإجرام كلّ سبع عشرة (١٧) دقيقة ، بينما تبلغ ساعات المشاهدة في المتوسط ثلاث ساعات يوميًّا للأطفال ، مِمَّا يعني حصول الصغار على جرعةٍ كبيرةٍ من العنف والشرِّ في اليوم الواحد .

ولا ننسى خطراً آخر يُهدِّد أطفالنا الصغار ، إنَّه خطر "الفيديو" ، ذلك الجهاز البيتيّ الذي يُوضع -في الغالب- داخل الغرف وتحت تصرُّف الجميع ، ويُعامل كما يُعامل المذياع أو التلفاز ؛ فالأشرطة ملقاة أمام الصغار والكبار ، والجهاز مستعدّ للتشغيل في أي وقتٍ وحين. وشيءٌ طبيعيٌّ -عند كثيرٍ منَّا- أن يسترخي الأطفال عند أيّ "فيلم" . بل ربَّما رأى بعضُنا في ذلك خلاصاً من إزعاجهم وضجيجهم . وكثيرٌ منَّا لا يُميِّز بين ما يُناسب الطفل وما لا يُناسبه ، وبالتالي فإنَّ طفلة صغيرة ستشاهد مشاهد الرقص وتوابعها ، ومراهقةً ومراهقاً سيرى لقطات الحبّ والغرام. وبالتالي فإنَّ من أطفالنا من سيُشاهد "أفلاماً" يَحْرُمُ على الأطفال مشاهدتها في "أمريكا" ، و"أوروبا"، وكلّ دول العالم، والله وحده يعلم فداحة الخطب ومدى التأثير الذي سيُصيب هذه الفطر السليمة .

---

(١) انظر التقرير الذي أعدَّته مجلة "المجتمع" عن هذا المؤتمر في العدد١٢٥٢، ص٥٨-٥٩.

المرأة في الإعلام المرئي :

أمَّا عن نظرة أكثر الإعلام للمرأة ، فصورتها فيه تعكس النظرة الدونيَّة والحيوانيَّة والتجاريَّة لها في سائر المنتجات الفنيَّة ؛ فهي إمَّا مجرَّد باحثة عن المتعة، أو جارية في بلاط الرجل، تتهافت على الرجل بأي ثمن، ولو كان الثمن عفّتها وموطن فخرها وعزَّتها . وهذا يُناقض الواقع جملة وتفصيلاً ؛ لأنَّ معظم نسائنا –بحمد الله– يُحافظن على شرفهنّ وعفّتهنّ وكرامتهنّ .

ويتألَّم الإنسان حين يرى أكثر الأفلام لا تُلقي بالاً لحكم العلاقة الجنسيَّة بين الرجل والمرأة من حيث الحلال والحرام ، بل يضع الأوّليَّة لما يُمكن تسميته "امتلاك الرجل" . فالمرأة التي تنجح في امتلاك الرجل بأية وسيلة ، مشروعة أو غير مشروعة ، هي المرأة الناجحة الشجاعة . أمَّا تلك التي تُحافظ على عفّتها وشرفها ، فهي الرجعيَّة المتخلِّفة .

ويعجب المشاهد حين يرى ظاهرة شاذَّة وغريبة تُقدَّم في "الأفلام العربيَّة" ، وهي ظاهرة المرأة المسترجلة أو "المرأة الفتوّة" ، التي تُنافس الرجال وتتحدَّاهم ، وتتزعَّم عصابات من الرجال أو النساء ، وتقودهم إلى الدم والعنف والجنس والمخدِّرات . وهذه الظاهرة غريبة على مجتمعنا الإسلاميّ ، وبعيدة عن قيمنا الإسلاميَّة. ومهما تدنَّت المرأة –في المجتمع المسلم– في انحرافها الخُلُقي والسلوكيّ، فلن تكون بتلك الصورة البشعة التي تُقدِّمها لنا "الأفلام" ، وتُحاول أن تجعل منها شخصيَّة واقعيَّة ومألوفة. وما هي إلا رجع صدى لحال المرأة الغربيَّة، ورغبة ساذجة وفجَّة في تقليد الأفلام الأجنبيَّة ، وسعياً لتحقيق مزيد من الكسب على حساب

المرأة في بلاد المسلمين ، تلك المرأة التي تخوض معارك شريفة من نوعٍ آخر للتغلُّب على عناء تربية الأولاد ، وصعوبة المعيشة ، وقسوة الظروف الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة ، والتي يبدو أنَّ منتجي الأفلام لا يعلمون بها ولا بطبيعة كفاح المرأة في مواجهتها .

ويذهب القوم إلى أبعد من ذلك في "أفلامهم" حين يتحدَّثون عن الشذوذ الجنسيّ عند النساء. فقد سمحوا لأنفسهم بالدخول إلى سجون النساء، وتناولوا مسألة "الشذوذ الجنسيّ" بين السجينات المنحرفات ، ثمّ قدَّموها للجمهور على أنَّها ظاهرة طبيعيَّة تسود المجتمع ، لا مشكلة فرديَّة ينبغي حلُّها ، فأساؤوا إلى المجتمع، وكذبوا على الواقع، ونسبوا إلى المسلمين ما يتنافى مع قيمهم وأخلاقهم.

أما القدوة في الإعلام :

فأعداء الإسلام قد استغلوها في غزو عقول الشباب والشابات وقلوبهم باستخدام النموذج الساقط في الأفلام والمسرحيات والتمثيليات ، وبالروايات المطبوعة التي يقرؤها الشباب في حلِّهم وترحالهم، حتى صار كثيرٌ من شبابنا لا يتعلّمون أخلاقهم إلامن أولئك الساقطين، ولا يتخذون قدوة سوى أولئك المنحرفين. فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ويزيد النَّار اشتعالاً ذلك الترويج الذي يلقاه أولئك في الصحف وأجهزة الدعاية ، حتى غدت ممثِّلات "السينما" ، وراقصات الليل ، وبنات الهوى ، وفتيات ما يُسمَّى بـ"الكباريهات" بطلات مكافحات ، تُجرى معهم المقابلات ليُسألوا عن نوع المياه التي يشربونها ، والسيارات

التي يركبونها ، والألوان التي يُفضِّلونها . وأكثر المشاهدين حريصون على ألا تفوتهم كلمة من تلك الكلمات التي تسيل من أفواه أولئك القدوات الإعلاميَّة .

وأغلب الإعلام -في وقتنا الحاضر- يُصوِّر الممثِّلين والممثِّلات على أنَّهم أبطال وأعلام ونجومُ شاشة ، وتُعْقَد لهم المقابلات ، ويُسألون عن نظرتهم إلى الجيل المعاصر ، وعن أحوالهم ، ويُستَفتون في حلّ مشكلاتهم . ونراه يحتفي بدعاة التحلُّل والإباحيَّة ؛ فيحتفل بـ"جون بول سارتر" رأس "الوجوديَّة"، وبعشيقته "سيمون" التي دعت نساءنا إلى كسر قوامة الرجل، وبغيرهما من أعداء الإسلام.

في الوقت الذي لا يُقدِّم لمشاهديه جهودَ العلماء الذين يسهرون الليالي في المعامل والمختبرات ، ولا الدعاة الذين ينشرون الفضائل والأخلاق ، ويحرسون العقيدة والقيم ، ولا الأعلام الذين قدَّموا لهذه الأمَّة نورَ أعينهم ، وعصارة أرواحهم . بل لا أكون مبالغاً إذا قلت : إنَّ عشرات الملايين من جيلنا المسلم المعاصر لا يعرفون سيرة نبيِّنا ﷺ ، بل ولا سيرة أعلام الصحابة -ناهيك عن غيرهم- ، ولا تاريخ التشريع الإسلاميّ . في حين أنَّه يحفظ تاريخ الممثِّلين والممثّلات، والمغنِّيين والمغنيات، والفنَّانين والفنانات، والريَّاضيِّين والرياضيَّات .

أمَّا التقليد في الإعلام :

فقد صار طابعاً واضحاً بين الشباب في السنِّ الحرجة . ومِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ أفلام الجنس والجريمة كان لها أبعد الأثر في اتساع مساحة الانحلال

والاضطراب؛ فالجرائم التي تقع في أغلب الدول الإسلاميَّة؛ من اغتصاب، وخطف ، وقتل ، وسرقة ، ونحو ذلك ، إنَّما تقع بطريقة مأخوذة من مسلسلات أو أفلام أجنبيَّة ، تحكي حوادث سرقة، أو قتل، أو اغتصاب يقوم بها مُجرمون في بلاد الغرب، ثمّ تُعرض على أبنائنا ، ليُقلِّدوا أولئك في طريقتهم .

ومن المؤكَّد عندي أنَّ للأفلام الأمريكيَّة البوليسيَّة وغيرها من أفلام المغامرات ، ضلعاً في غرام بعض شبابنا بالتفحيط والسرعة ؛ فبعضهم ينقل مغامراته إلى الشارع، ويُصبح –عند نفسه– هو بطلُها .

خطر المسلسلات والتمثيليَّات التي تُسمَّى بـ"الإسلاميَّة" :

أمَّا ما يبثّه الإعلام مِمَّا يُسمَّى بـ"التمثيليَّات أو المسلسلات الإسلاميَّة": فإنَّنا نلمح في أكثرها تشويهاً ودسًّا واضحاً صريحاً في التاريخ الإسلاميّ ؛ إذ ترتبط مفاخر وبطولات قادة المسلمين بالحبّ ، ويُبْرَزُ دورُ المرأة باعتبارها فاتنة تُؤثِّر في الأحداث بجمالها ، لا بإيمانها وصلاحها . ويتقمَّص دورَ قادة المسلمين ممثِّلون عرفهم المشاهدون في أدوار الحبّ والغرام والإجرام، مِمَّا يُحدث ما يُشبه الانفصام الشخصيّ لدى أبنائنا[1].

ومِمَّا يزيد الطين بِلَّة ما نجده في تلك المسلسلات أو التمثيليَّات من اختلاط الرجال بالنساء، ومن مخالفات دينيَّة أخرى واضحة ؛ فحين يسمع

---

(١) انظر التلفزيون بين المنافع والمضارّ ، للدكتور عوض منصور ، ص ٢٤–٢٥ .
وقد ساق شواهد عديدة من التمثيليَّات التي شُوِّهت فيها شخصيَّة عددٍ كبير من قادة المسلمين وخلفائهم ؛ كعقبة بن نافع ، وهارون الرشيد ، وغيرهما .

أبناؤنا ويرون أشخاصاً تلوك شفاههم عبارات إسلاميَّة لم تشرق بها قلوبهم، ثمَّ يبيحون لأنفسهم الاختلاط السافر وكشف العورات، يُخشَى عليهم أن يفهموا من تلك المشاهد المزرية أن لا حرج على المسلم في أن يحمل القيم الإسلاميَّة ، ويُدافع عنها، بل ربَّما ضحَّى في سبيلها بالنفس والمال ، دون أن يرى بأساً في حياة الاختلاط والتعرِّي ، فينشأ جيلٌ من الأبناء مُسخت العقيدة الصحيحة في نفوسهم .

أخطار الغزو الإعلاميّ :

ستُتيح الفضائيَّات والبثّ المباشر ووسائل إعلاميَّة أخرى الفرصةَ للثقافات الأجنبيَّة أن تقتحمَ أجهزة المستمعين والمشاهدين في بيوتهم مباشرة دون استئذان أو رقيب. وسيترتَّب على هذا غزوٌ ثقافيٌّ وفكريٌّ واجتماعيٌّ، دون شعورٍ من المستقبِل؛ فيتمّ الغزو –على حدّ قول سعادة الدكتور غازي القصيبيّ– دون أن يُدركَ ضحيَّة الغزو أنَّه مُعرَّضٌ لأيّ خطر، فيُقبل في حماسة وبلاهة، لا على قبول الغزو فحسب، بل على اعتناقه واحتضانه . وهنا مكمن الخطر؛ إذ كيف يُمكن أن تقاوم عدوًّا لا تشعر بوجوده[1] ؟!

ولا شكّ أنَّ لهذا الغزو الإعلاميّ آثاراً خطيرة، وعديدة، من أبرزها :

١– الخطر العقديّ : وهو أخطر ما يُتوقَّع أن يجلبه الإعلام ، سيّما الفضائيَّات والبثّ المباشر ؛ حيث يؤدِّي دوراً خطيراً في خلخلة العقيدة في نفوس المسلمين، أو إخراجهم من دينهم، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء، والحبّ في الله ، والبُغض في الله في قلوبهم[2] .

---

(١) انظر المسلمون في مواجهة البثّ المباشر ، ص ٥٥ .

(٢) انظر بيان ذلك مع الأمثلة في كتاب البث المباشر للدكتور ناصر العمر ، ص ٥٢ .

٢- والخطر الثقافي ؛ حيث أثبتت الدراسات أنَّ الأفلام والبثّ المباشر يُضعف مستوى التعليم لدى أفراد الأمَّة ، فيشغلهم عن الدراسة ، ويُضيِّع أوقاتهم بلا فائدة ، ويُشيع فيهم الخمول وعدم الجديَّة ، ويُضعف لغتهم العربيَّة . إضافة إلى تلقينهم مفاهيم وثقافة غريبة عن مفاهيمنا وثقافتنا الإسلاميَّة . يقول الأستاذ عبدالرحمن العبدان في معرض حديثه عن البث المباشر وخطره الثقافي : ((.. ثمَّ البرامج الثقافيَّة الموجَّهة ، والتي يُمكن أن نُسمِّيها بالغزو الفكري. وهذه سوف تُسيء لكثيرٍ من مفاهيم الشعوب المستهدفة وقيمها، ولا بُدَّ من مراقبتها، وتبصير المتلقّين بأهدافها، وتحصينهم من آثارها))[1] .

٣- والخطر الأخلاقي ؛ فالبثّ المباشر والأفلام يُساهمان في الدعاية إلى أمور محرَّمة، وفي تفجير الغرائز ، وما يتبع ذلك من البحث عن سُبُل غير شرعيَّة لتصريفها ، مِمَّا يُؤدِّي إلى شيوع الرذيلة ، وانتشار المنكر .

٤- والخطر الاجتماعي خصوصاً ما يتعلَّق بالنساء والاختلاط ، وتقليد نمط الحياة الغربيَّة[2] ، وهجر العادات الحميدة ، ونبذ القيم والمُثُل العُليا . وقد اعترفت منظمة "اليونسكو" بذلك في التقرير الذي صدر عنها ، وجاء فيه : ((إنَّ إدخال وسائل إعلام جديدة ، وخاصَّة التلفزيون في المجتمعات التقليديَّة ، أدَّى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين ، وممارسات حضاريَّة كرَّسها الزمن))[3] .

وهذه الأخطار وغيرها كثيرٌ ، نَتَجَتْ عن الغزو الواضح الموجَّه إلى أُمَّتنا بغرض تخريب ثقافتها،وإبعادها عن الاهتداء إلى شخصيّتها المستقلَّة، والاعتزاز بحضارتها المتميّزة.

❁❁❁

(١) جريدة الرياض ، العدد ٨٤٥٠ .

(٢) انظر الشباب والانفتاح العالمي ، للشيخ صالح بن غانم السدلان ، من أبحاث المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلاميّ ، ص ٤١٢ .

(٣) نقلاً عن كتاب البثّ المباشر : حقائق وأرقام ، لناصر العمر ، ص ٧٣ .

المطلب الثالث : الشبكة العالميّة للمعلومات من الثغرات التي يتسلّل منها الغزو الفكري

"الإنترنت" مجموعة من الحاسبات الآليَّة ، تتحدَّث عبر الألياف الضوئيَّة وخطوط الهاتف "التلفون" ووصلات الأقمار الصناعيَّة وغيرها من الوسائل ، وتربط أجزاء العالم المختلفة، بحيث يُمكنك التحدّث إلى أصدقائك وأفراد أسرتك المنتشرين حول العالم بيسرٍ وسهولة . فهي وسيلة للتواصل بين حضارات الشعوب وثقافات الأديان المختلفة[1] .

بدأت حياة الإنترنت قديماً في عام ١٩٦٩م ، بغرض ربط إدارة الدفاع الأمريكيَّة مع متعهدي القوات المسلحة بشبكة واحدة . ثمَّ تطوَّرت لتُستخدم من قبل مؤسِّسات أخرى -سيّما الجامعيَّة- في عام ١٩٨٣م ، إلى حدّ أنَّها بدأت تُعاني من ازدحامٍ يفوق طاقتها[2] .

ثمَّ توسَّع استخدام هذه الشبكة ، حتى صار بإمكانها تمرير (٢١) واحدٍ وعشرين مليار وحدة معلوماتيَّة في العام الواحد. وتجاوز عدد الحاسبات الموصّلة بها المائة مليون حاسب قبل نهاية عام ١٩٩٨م[3] .

ويكمن خطر "الإنترنت" في كونها فوضى تعاونيَّة لا إدارة مركزية لها؛ فكلّ شبكة مشتركة في الإنترنت لها قواعدها الخاصَّة وهيكلها التنظيميّ لإداراتها .

---

(١) انظر التكنولوجيا الحديثة والاتصال الدولي والإنترنت ، لعلي محمد شمو ، ص ٢٢٧ .

(٢) انظر الإسلام والإنترنت ، لأحمد جوهر أحمد ، ص ١٠-١١ .

(٣) انظر التكنولوجيا الحديثة والاتصال الدولي والإنترنت ، لعلي محمد شمو ، ص ٢٣٣ .

وقد اكتسبت "الإنترنت" سمعة سيِّئة بسبب انفتاحها غير المحكوم أخلاقيًّا ؛ فهي بحكم تحرُّرها من كلّ قيدٍ أو ضابطٍ اجتماعيّ أو رقابيّ ، وبحكم الخصوصيَّة والاتساع اللتين تُوفّرهما ، تصنعُ حالةً نفسيَّةً غيرَ مسبوقةٍ في تاريخ الإنسانيّة ؛ إذ تُتيح للإنسان إطلاق رغباته الدفينة كلّها ، والتعبير عنها بصراحة مع من يرغب ، عبر غُرف "الدردشة" ، أو ما يُطلق عليه اسم "الشات"[1] .

ولقد دفعت المخاطرُ التي يتداولها النَّاس عن "الإنترنت" بعضَ الأُسرِ إلى التفكير بشكلٍ جدّيّ قبل الإقدام على إدخال خدمة "الإنترنت" إلى أجهزة حواسيبهم ، وغدا بعضُهم يتساءل : ما الفائدة التي سأجنيها من استخدام "الإنترنت" ؟ وما قيمة هذه الفائدة في مقابل مخاطره وشروره ؟

وكذا أقلقت "الإنترنت" كثيراً من أهل الخير، بسبب استغلالها البشع من قبل عصابات الجريمة المنظَّمة ، وتُجَّار الأعراض ، والداعين إلى كلِّ رذيلةٍ وفاحشة وفوضى ، فغرقت كثيرٌ من فوائدها العظيمة في بحرٍ آسنٍ كريه الرائحة والمنظر .

وقد تنبَّه أعداء الإسلام إلى أهميَّة هذه الشبكة "الإنترنت" في نشر شبهاتهم ، وبثّ أباطيلهم ، فاستغلُّوها استغلالاً واضحاً في غزوهم لنا فكريًّا .

---

(١) تحدَّث كثيرٌ من الشباب عن الحرية المفرطة التي تنضح بها غرف الدردشة "الشات" ، وذكروا كيف أنّ الجنسين في هذه الغرف يُطلقون رغباتهم الدفينة ، ويُعبرون عنها بصراحة تامَّة دون حياء أو خجل، ودون وازعٍ من دينٍ، أو خوفٍ من رقيب. (انظر التحقيق الذي أجرته مجلة "الأسرة"، ووسمته بـ "الإنترنت ربّ الأسرة الجديد"، في عددها رقم١١١، ص ١٦-٢٢) .

فما من عدوٍّ للإسلام والمسلمين ، إلا وله في هذه الشبكة العالمية موقعٌ يُخاطب فيه غرائز شبابنا قبل عقولِهم، ويُدغدغ عواطفهم، ببثّ آلاف الشبهات حول دينهم، ونبيِّهم، وكتابهم، وحملة الدعوة الأوَّلين، من خلال ملايين الأجهزة التي تدخل على بيوتنا ، لتنشر فيها حصاد هشيم أعدائنا .

فخطر "الإنترنت" ملاحظٌ ، سيّما في برامج "الدردشة" ، "الشات" ؛ حيث يُتاح المجال فيها لكلّ عدو من أعدائنا أن يُلقي شبهاته ، ويُناقِشُ فيها الآخرين مناقشةً إبليسيَّة. والطرفُ الآخر غالباً ما يكون جاهلاً بدينه، سريعَ التأثُّر بما يُلقَى إليه من شبهات ، بسبب ضعف ثقافته الدينيَّة .

عدا عن آلاف المواقع الإباحيَّة التي تنشر الفساد ، وتُكرِّس الانحلال .

ومن هنا كان إدخال هذه الشبكة إلى مجتمعات المسلمين يُشكِّل تحدياً بارزاً لنا -في وقتنا الراهن- ، بسبب عدم وجود أسسٍ تربويَّة مرافقة لها ، ولا خطَّة تربويَّة معدَّة من قبلنا لاستقبالها . وبسبب ما فيها من زخمٍ هائلٍ من بيانات لم تُقنَّن أو تُنظَّم . يُضاف إلى ذلك : تلك التطوّرات السريعة والمتلاحقة في مجال ابتكار الجديد في هذه التقنية، مِمَّا يجعل عمليَّة اللحاق بها متعبة، سيّما في ظروف عدم الاستعداد لاستقبالها ، وعدم الجديَّة في التعامل معها من أغلب شرائح المجتمع .

وكذا احتكارُها من قبل فئات عالميَّة تُريد إدارة الزمام من مواقعها وحسب مشيئتها ، يُشكِّل تحدياً آخر لنا ولقيمنا ولأخلاقنا .

المبحث السادس : المؤتمرات العالميّة

كان ولا يزال عهدُنا بالزيف أنَّه يُلبِس الحقَّ ثياب الباطل ، ويُلبس الباطل ثياب الحقِّ . كما كان ولا يزال يُلبس المعروف ثوب المنكر، ويُلبس المنكر ثياب المعروف . كما كان ولا يزال يخلع على الرذيلة ملابس الفضيلة ، ثمَّ يخلع على الفضيلة ملابس الرذيلة .

وهذا ديدن أكثر المؤتمرات الدوليَّة والمعاهدات العالميَّة التي تُعقد باسم حريَّة المرأة، وحقوق الإنسان، والتعليم، والتقارب بين الأديان،ونحو ذلك.

فهي زيفٌ، لكنَّه زيفٌ يؤسِّس الحضارة الجديدة ، ويضع القواعد للمدنيَّة الحديثة باستخدام وسائل يستطيع من خلالها أن يضغط على دعاة الحقّ ، وأن يقلب الحقائق إلى أباطيل .

فمشاركة الرجل للمرأة ، ومشاركتها للرجل في كلّ الأعمال والتخصّصات والحقوق ، والاختلاط في التعليم ، هو أقصى ما وصل إليه علم المزيّفين لتحقيق المساواة والتقدُّم .

وتركُ مسائل الحبّ والجنس ومقدّماتها للحريّات الشخصيَّة ، هو أقصى ما وصل إليه علم المزيِّفين لتحقيق السعادة والحريَّة .

وتحديد النسل ، ووقف الإنجاب ، وتقليل عدد المسلمين ، أقصى ما وصل إليه علم المزيّفين لتحقيق الرفاهية .

وانتهاك حرمة الشرائع الإلهيَّة والوحي السماوي ، أقصى ما وصل إليه علم المزيِّفين لتحقيق العدالة والتقدّميَّة .

والإنسان في نظر هؤلاء المزيِّفين لايفترق عن الحيوان في أمور الحبّ والجنس فينبغي ألا يفترق عنه في السلوك المحقِّق لهذه الشؤون .

والأسرة في نظر هؤلاء المزيِّفين مأمورةٌ بالاستماع إلى نصائحهم، والاستجابة لمخطّطاتهم، كي تتمكَّن من التغلُّب على المشكلات التي تواجهها.

إلى آخر هذيانهم المحموم الذي يُخاطب الغرائز لا العقول،ويستند إلى الوهم لا الحقيقة، وهو عبارة عن ظلمة كثيفة، صنعها غبار الهدم الفكري خلال زحف جيوش الباطل، ودلف إلى المسلمين عبر ثغرة المؤتمرات الدوليَّة .

ولعلّ أول مؤتمر دوليّ -إسلاميّ نصرانيّ- عُقِدَ ، كان في "لبنان" ، قبل أكثر من خمسين عاماً، وكان القصد منه -كما بدا- الوقوف أمام الإلحاد والشيوعيَّة ، باسم الإيمان بالله .

ثمّ عُقِد مؤتمرٌ في"قرطبة" عام ١٣٩٧هـ، وظهر للنَّاس أنَّ القصد منه إعلان هدنة من الإسلام للنصرانيَّة ، تُحبس فيها الأقلام ، وتُكمَّم الأفواه التي تُنادي بالإسلام كدين عالميّ للنَّاس كافَّة ، أو تلك التي تردّ على الشبهات المثارة ضدّ الإسلام وحملته الأوَّلين .

ثمّ انعقد مؤتمر آخر في "شيكاغو" سنة ١٩٩٣م .

وتلاه في "كيب تاون" بجنوب أفريقيا في ديسمبر عام ١٩٩٩م مؤتمرٌ حضره أكثر من سبعة آلاف شخص يُمثِّلون كلّ أديان العالم وطوائفه الروحيَّة[١] .

(١) جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٧٦٨١ ، ص ٤ .

ثـمّ عُقِـدَ في الأمـم المتحدة مـا سُمِّي بـ"مؤتمـر الأديـان" ، وذلك قبل القمـة الألفيَّة التي جمعت زعماء العالم ، وانتهى المؤتمر بتوقيع زعماء العالم الدينيِّين على أنَّ كلَّ الأديان سواء[1] .

ثـمّ توالـت المؤتمـرات والاجتماعات، وجلّها ركَّز على غزو المسلمين فكـريًّا ، وإلقـاء الشبهات ، والتشكيك في الديـن ، واستثارة المرأة لـتترك الصف الإسلاميّ إلى صفّ أعدائه :

فهـذا مؤتمـر المرأة العـالميّ الـذي عُقِـدَ في "نيروبـي" عاصـمة "كينيا" ، وحضره أكثر مـن ستة آلاف شخص ، من بينهم مندوبون من مائة وسبع وخمسين دولـة ، ومـن سـت وخمسين هيئة خاصَّـة تابعـة للأمـم المتحدة، وركَّز على جملة من القضايا، منها: تحقيق المزيد من المساواة بين الجنسين ، وضرورة مشاركة المرأة في تنمية الوطن وصيانة السِّلم العالمي قبل عام ٢٠٠٠م ، ونحـو ذلـك مـن القضـايا الـتي أراد المؤتمـر مـن المـرأة –سـيّما المسلمة– العمل على تحقيقها .

وتـلاه مؤتمر المرأة العـالمي في "بكِّين" ، والذي عُقِدَ في الفترة من ٤– ١٥سبتمبر عـام ١٩٩٥م ، وخـرج علينا بجملة من القرارات التي سعى لها أعـداء الإسـلام قديماً وحديثاً ، بغرض سلخ المجتمعات الإسلاميَّة من دينها لتنصيرها ، وطمس هويّتها، وتمييع شخصيّتها، وجعلها تابعة ممسوخة تسير في فلك أعدائها. وكشف المؤتمر عن خبث نواياه ، حين شجَّع على

---

(١) انظر مجلة "البيان" ، العدد ١٥٦ ، ص ١٢٧ .

إقامة علاقات جنسيَّة غير شرعيَّة -"الزنا"-، وأقرَّ الحمل من غير زوج ، وربط الجهلَ بالزواج المبكِّر[1] .

وتلاه مؤتمر "مائة عام على تحرير المرأة العربية" ، والذي عقده المجلس الأعلى للثقافة في مصر من ٢٣-٢٨/١٠/١٩٩٩م ، بمناسبة مرور مائة عام على صدور كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين . وقد طالب كثيرٌ من الحاضرين بإبعاد الدين وتنحية الشريعة الإسلاميَّة وتعطيلها ، وإلغاء قوامة الرجل ، وعدّة المرأة، وتعدُّد الزوجات، ومبدأ حظّ الذكر مثل حظّ الأنثيين، وحدّ الزنا، والنشوز، والطلاق بسبب فقدان البكارة، وإذن الزوج للمرأة بالعمل خارج بيتها أو السفر ، وغير ذلك . كما هاجم الكثير منهم الحجاب واعتبروه عادات اجتماعيَّة قديمة ، ودعوا إلى الاختلاط في التعليم ، وإعطاء دورٍ أكبر للمرأة .

وعند التأمُّل في أساليب الطرح والمناقشة ، وفي أبعاد المطالب ، نجد ((أنَّ هذه المطالب لا تُعبِّر عن الأشخاص المطالِبين بها، وإنَّما تُعبِّر عن أهداف وأغراض مؤتمرات المرأة العالمية ، وبالأخص "مؤتمر بكين" ، تلك المؤتمرات التي تخدم أهداف أعداء ديننا وأمَّتنا))[2] .

---

(١) انظر ملخّص وثيقة بكين ، للأستاذة سهيلة زين العابدين حمّاد ، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ٢/٩٥-٩٨ .

(٢) مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة العربية : رؤية إسلاميَّة ، للأستاذة سهيلة زين العابدين حمَّاد، ضمن بحثها : المرأة المسلمة أمام تحديات العولمة ، والمنشور ضمن أبحاث المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ٢/١٠١ .

ثـمّ عُقِـدَ مؤتمـر "المـرأة ٢٠٠٠"، في مقـرّ الأمـم المتحدة بـ"نيويورك"، وطرحـت فيه العديـد مـن القضـايا الـتي تُخالف الأديان والفطـر السـوية ؛ مثل "حقـوق الشـواذّ"، و"إمكـان إجراء عمليَّات إجهاض بشكل رسميّ"، و"الحقـوق الجنسيَّة لـلمرأة"، و"تغيير قوانين المـيراث"، ونحـو ذلك ، وأراد المؤتمـرون إقـرارها، لكـنّ رفـض الـدول الإسـلاميَّة -الحاضـرة للمؤتمر[1]- لهـا، حـال دون ذلـك[2] ، فـلم يـنجح هـذا المؤتمـر ، ولم تـتحقَّق أهدافـه ، بفضـل الله ، ثـمّ بسـبب اضـطلاع الـدول الإسـلاميَّة الحاضـرة بمسـؤوليَّة مواجهة زحف الرذيلة والشذوذ .

وعَقْـدُ هـذا المؤتمـر وأشباهه ، محاولـةٌ مـن أعـداء الإسـلام لهـدم البيت المسلم حقـداً عليه، ونقـلاً لعدوى التمزُّق من مجتمعهم إلى المجتمع المسلم، فتراهـم يُثيرون العديدَ من الشبهات معتمدين في إثارتها على بريق خادع ، يخلـب عقول النساء اللواتي لم يعرفن الإسلام معرفة تامَّة، كي يجد ذلك صدى في عقولهنّ، فيعملن على تحقيق مآرب أعداء الإسلام في المجتمع الإسلامي.

والمتابع لأكثر المؤتمرات الدوليَّة ، يجدها تُركِّز على المرأة.

ومـن أبـرز القضـايا الـتي يُثيرها أعـداء الإسـلام مـن خلالهـا : قضـيَّة السفور والحجـاب ؛ حيـث يـربطون السـفور بالـتقدُّم والمدنية ، والحجابَ بالتخلُّف والرجعيَّة .

---

(١) وهي السعوديّة ، ومصر ، والجزائر ، والسودان ، وباكستان ، وليبيا ، وإيران .

(٢) انظر التقرير الذي أعدّته مجلة "المجتمع" حول هذا المؤتمر ، في عددها رقم ١٤٠٥ ، ص ٣٤-٣٥ .

وتتعالى دعوات أعداء الإسلام ، ومن تربَّوْا في أحضانهم للمرأة أن تمزِّق الحجاب ، وتتخلَّى عنه ، كي يتسنَّى لها السيرُ في طريق التقدُّم ، وكي تلحق بركب المدنيَّة .

وتحت ما يُسمَّى ببريق المساواة بين الرجل والمرأة، يدلف أعداء الإسلام إلى عقل المسلمة،ويُروِّجون لفكرتهم في نبذ التفرقة بينها وبين الرجل في سائر الأمور حتَّى ما يمسّ القوامة منها ، والطلاق ، والميراث ، وغيره .

وتتعالى صيحاتهم مطالبين المرأة بالثورة على أوضاعها، ونبذ التعاليم الإلهيَّة.

وتحت وَهْمِ الإنتاج ، والعَزْفِ على وَتَر "الاقتصاد عصب الحياة"، و"المرأة نصف المجتمع"، يَنْصِبُ هؤلاء المبطلون للمرأة شباكَهم ؛ تلك الشباك التي لم تُلقَ للمرأة فقط، بل نُصبت للرجل معها كي تَسْهل مهمَّة الإفساد . فمن ذا الذي لا يروقه تحسين معيشته ؟!

وتحت هذا الوهم يزجُّون بالمرأة في ساحات العمل ؛ ما واءمها منه وما لا يُوائمها، وما يُناسب طبيعتها ، وما لا يُناسب ، وما يحتاجه مجتمعها المسلم وما لا يحتاج . بل لقد تفنَّنوا في إيجاد أعمال لا تليق بها بحال ، متغافلين عن اختلاف تركيبها الجسديّ عن الرجل اختلافاً كبيراً؛ إذ كلُّ خليَّة من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها، وكذا الأمر بالنسبة لأعضائها، وفوق ذلك جهازها العصبيّ.

وهذا وغيره من ألوان الشبهات التي يُثيرها أعداء الإسلام حول المرأة ودورها ، ويُريدون من خلالها غزوَ الإسلام، مِمَّا يتهافتُ أمام الحجَّة والبرهان . وما ساعد على انتشار هذا الغثيان ، إلا جهل الكثيرات من المسلمات بدينهنّ .

فإلى الله المشتكى ..

وبنهاية الحديث عن هذه الثغرة ، أكون قد ألقيت الضوءَ على جملةٍ من الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكري إلى مجتمعات المسلمين .

وبجوار هذا الداء لا بُدَّ من ذكر الدواء ، وهو ما سأُبيّنه في الفصل الثاني بإذن الله تعالى ، حين الحديث عن سبل تلافي هذه الثغرات .

فالله المستعان ، وعليه التكلان ، في بيان سبل تلافي تلك الثغرات .

❋❋❋❋
❋❋
❋

الفَصْلُ الثّاني

سُبُلُ تلافي الغزو الفكريّ المتسلِّل من خلال تلك الثغرات

إنَّ أمواج الحضارة الغربيَّة بزبدها المستقذر الطافي ، تزداد هجوماً وإطباقاً علينا، وسوادُ النَّاس في مجتمعاتنا يزدادون استسلاماً لها، وانجرافاً في تيَّارها، دون أن يُصغي أحدٌ منهم إلى صيحات التحذير، أوينتظر مشاريع الاصطفاء والانتقاء.

فهل من سبيلٍ إلى مُرْتَقى ، أو حصنٍ يعصمنا من الغرق الذي بات وشيكاً، ويُنجدنا بما نردّ به عنَّا عاديةَ هذا الطوفان ؟

والجواب : نعم ، ثمَّة سُبل ، ولكنْ علينا أن نعلم قبل أن نسلكها أنَّ ما قد يكون على أفواه هذه السبل أو في ثناياها من عقبات ، فإنَّما هو من صنعنا ، أو بسببنا نحن . وهذا يعني أنَّ تعبيد هذه السُّبُل وتنظيفَها يعود إلينا لا إلى غيرنا . ويجب أن نلفت النظر قبل كلِّ شيء إلى أنَّ معالجة السير على هذه السبُل إنَّما هو بحدِّ ذاته عملٌ جماعيّ، يجب أن يلتقي عليه سوادُ هذه الأمَّة وغالبيّتُها العُظمى، على أن يكون في مقدِّمتها: قادتُها وحُكَّامُها.فلا ريب أنَّ الجهودَ الفرديَّة المتناثرة قلَّتْ أو كثُرَت لا بُدَّ أن تتبدَّد وتذهب أدراج الرِّياح .

وقد تقدَّم الحديثُ عن عددٍ من الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكريّ إلى بلاد المسلمين . ولأنَّنا لسنا بمعزلٍ عن هذا العالَم الذي نعيش فيه ، فقد لَحِقَ بأكثر فئات مجتمعنا الإسلاميّ من هذا الغزو الضرر المباشر ، بل لقد استشرى هذا الداء وصار حقيقةً ماثلةً للعيان تفرِض نفسَها في أكثر المجتمعات الإسلاميَّة،

وتُؤكِّد خطورتها على النشء يوماً بعد يوم ، مِمَّا لا يجعلنا في موقع الخيار ، بل يُحفِّزنا لمواجهته ، ويشحذ هممنا للمحافظة على ديننا الذي هو مصدرُ عزّتنا وعصمة أمرنا ، وللإبقاء على مكتسباتنا وموروثاتنا وعاداتنا وتقاليدنا الحميدة .

ومواجهة الغزو الفكريّ لا تعني بالضرورة : الرفضَ لحضارة الغرب جملةً وتفصيلاً، أو الدعوةَ إلى الانغلاق والانكفاء على الذات، أو الانعزاليَّة و الرغبة في التقوقع بعيداً عن منجزات الثقافات والحضارات الأُخرى .

وقد قالوا قديماً: "درهمُ وقاية خيرٌ من قنطار علاج". وهذا صحيحٌ بلا شكّ؛ إذ التحصُّن من أسباب المرض، ومحاصرة دوافعه، أجدى وأنفع أثراً في تلافيه .

لكنَّنا سنسلك خُطُوات نجمع فيها بين الوقاية من أخطار الغزو الفكري ، ومعالجة انحراف شبابنا وجنوح ناشئتنا ، وانغماس كثيرٍ من شرائح مجتمعنا في مستنقع الغزو الآسن، مع الانفتاح الواعي والمدروس على ثقافات الآخرين :

فالحقُّ مقبولٌ ولو من جاهلٍ   فاظفَرْ بذاتِ القولِ لا بالقائلِ

وهذه الخُطوات التي يتكوَّن منها السير إلى تلافي هذه الثغرات وسدِّها يُمكن أن تُجملَ في المباحث التالية :

المبحث الأول : التربية الإيمانيَّة الصحيحة .

المبحث الثاني : غرس الوعي الديني والثقافي .

المبحث الثالث : الحدّ من سفر الشباب إلى البلاد الأجنبيَّة .

المبحث الرابع : الرقابة على الإعلام ، والتحكُّم في وسائله .

المبحث الخامس : استقدام العمالة المسلمة ، ودعوة غير المسلمين .

المبحث السادس : تيسير أمور الزواج .

غضون ذلك تبدو "سيسليا" امرأة تُريد أن تضع في فمها أكثر من لقمة حُبّ ؛ ففي الوقت الذي تعيش فيه مع زوجها "إيف بييرتون" موسم عشق حافل، فقد مدَّت شبكتها في اتجاه معجب يتيم يُدعى "فيتوريو ميزيجيو رنو" ، ومعه سرحت ومرحت في جنوب إيطاليا ، وعادت لتُخبر زوجها عن اكتشافٍ لم يخطر ببال بشر وَجَدَتْهُ مع كبير الحظ "فيتوريو" ...))[1] .

وفي عددٍ آخر، ألقت الأضواء على عددٍ آخر من الممثِّلين والممثلات ، من أمثال : "جين مانسون" المطربة الأمريكية الأصل ، الفرنسيَّة الإقامة ، الشرقيَّة الحبِّ والهوى -على حدِّ تعبير المجلَّة- ، والفنانة "أدويج فويير" ، ونجم البيتلز "بول ماك كارتني" ، و"ستيف وندر" ، وغيرهم[2] .

وهكذا تمضي هذه المجلة -في سائر أعدادها-على نفس النسق والمنوال لتسوق لأبنائنا قصص الأخريات والآخرين ، وهي قصص تشمل مزيجاً من التحريض والإثارة والتحلُّل والاستهتار بقيمنا وأخلاقنا وديننا .

وتنشر صحيفة أُخرى من الصحف اليوميَّة الصادرة في بلدٍ إسلاميّ إعلاناً عن عطر نسائيّ من منتوجات "كريستيان ديور" ، استوحى فيه مصمِّم الإعلان امرأة في مخدعها "منبطحة" بصورةٍ دنيئة ومخجلة وخبيثة ، يأنف كلُّ غيورٍ أن تراها إحدى محارمه أو أحد أبنائه الشباب . ولست أدري : لِمَ هذا الابتذال الرخيص والانحدار المريع بقيم وأخلاق الشباب إلى هذا الدرك ؟!

---

(١) راجع مجلة "الوطن العربي" ، العدد ٣٢٥ .
(٢) الدورية السابقة ، العدد ٢١٥ .

ودونك الكثير من المطبوعات الدوريَّة ، أو المجلَّات ، أو الصحف ، التي تصدر في كثيرٍ من بلاد المسلمين، لترى مظاهر الغزو الثقافيّ فيها ؛ من نشر أنباء عالميَّة متحيِّزة ضدّ الإسلام دون تعليق ، أو نشر صورٍ خليعة لنجوم وفنَّانات في مناسبات مختلفة ، أو نشر إعلانات عن أفلام مخلَّة بالأدب ، أو الترويج الإعلاني والإعلامي لأعمال فنيَّة هابطة ، أو التعبير عن المجتمعات الغربيَّة وقيمها كنماذج تُحتذى ، أو القصص التي تُضعف إيمان المسلم بالغيبيَّات، أو الأشعار الساخرة من المسلم، أو المنحلَّة خُلُقيًّا ، أو غير ذلك من الأمور التي تدلّ على مقدار الخلط الذي وصلنا إليه في حياتنا ، ومدى الحيرة والتخبُّط الذي نعيشه . فإلى الله المشتكى ...

ويحدث هذا في وقتٍ قد رمى فيه أعداء الإسلامِ الإسلامَ عن قوسٍ واحدة. فجاء هؤلاء ليُكملوا التقطيع في جسده . والله متمّ نوره ولو كره الكافرون .

إنَّ اليهود والنصارى رغم ضلالهم وتحريف ديانتهم ، يُربُّون أبناءهم على احترام معتقداتهم الباطلة ؛ فاليهوديَّة التي أقامت على أنقاضنا دولةً تُريد اجتياح حاضرنا ومستقبلنا ، وهي تُربِّي النساء والأطفال لتحقيق هذه الغاية ، تعتَبِرُ المدرسةَ ثكنةً عسكريَّةً، والثكنة معبداً دينيًّا، والتوراة ديناً ودولة ..، والنصرانيَّة لا تتوانى عن تربية أولادها على احترام عقيدتهم التي لا يفهمها عقلاؤهم فضلاً عن عوامِّهم . أمَّا المسلمون : فإنَّ هجوم أبنائه عليه قبل أعدائه هو الواقع ..

سجَّل الشيخ عبد الله كنُّون في إحدى زياراته لأوروبا الكلمات التالية التي جاء فيها : ((أذكر للاعتبار أنِّي كنتُ في إسبانيا ذات مرَّة ، وصادف وجودي في غرناطة يوم الاثنين ، وهو يومٌ تُعطِّل فيه الصحف الإسبانيَّة ، ولا تصدر فيه

إلا جريدة واحدة تُسمَّى صحيفة "الاثنين" ، فأخذتُ هذه الجريدة لأنظر فيها أنباء اليوم ، فإذا داخلها ملحقٌ صغيرٌ للأطفال يكاد يستغرقه كلَّه مقالٌ رئيسيٌ بعنوان : "محمَّد النبيّ المزيَّف ..." كُتِبَ بلغة سهلةٍ مبسَّطة ، ولكنَّها مليئةٌ بالهزء والسخرية ! وقد بُنِيَ المقال على فكرة أنَّ القرآن مقتبَسٌ من التوراة والإنجيل اقتباساً مشوَّهاً ؛ لأنَّ صاحبه -على حدّ تعبير الكاتب- كان أُمِّيًّا لا يعرف قراءة ولا كتابة ، وإنَّما تلقَّف ما ضمّنه كتابه من أفواه اليهود الذين كانوا يسكنون جزيرة العرب ، ومن بعض الرهبان الذين لقيهم في أثناء رحلته إلى الشام)) ..

ثمّ عقَّب الشيخُ على هذا بقوله : ((وهكذا يعمل النصارى على تنشئة أبنائهم منذ الصّغر على احترام عقيدتهم -وحدها- ، ويُرابط الكاثوليك في حصن غرناطة ، مستأنفين إلى اليوم مطاردة الإسلام حتى في نشرات الأطفال بعد أن أجلوا أتباعه من هذا الحصن قبل بضعة قرون))[1] .

فإذا كان هؤلاء يُربُّون أولادهم على هذا الغرار، فكيف نُربّي نحن أولادنا ؟!! إجابةٌ مريرةٌ أدعها للقارئ الكريم ..

المطلب الثاني : الإعلام المسموع والمرئي من الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكري

غزت الحضارة الماديَّة -التي ترى أنَّ سعادة الإنسان في هذه الدنيا، لا تعدو أن تكون إشباعاً لغرائزه الماديَّة- مجتمعاتِنا الإسلاميَّةَ ، ودخلت عليها من ثغرات متعدِّدة -كان من أخطرها: الإعلام بنوعيه المسموع والمرئيّ-،

---

(١) نقل عنه ذلك الشيخ محمد الغزالي في مقالته التي وسمها بـــ"عندما يكون الإلحاد أذكى" ونشرتها مجلة الأمة في العدد الثاني والثلاثين ، ص ٩ .

فقتلت بذرة الإيمان في نفوس شرائح كثيرة كانت قد فُطِرَت على حبِّ الخير والتعلُّق بالفضيلة ، ورُجِيَ منها خيرٌ كثيرٌ لو هُيِّئت لها أسباب النماء في محاضن الطهر والعفاف .

وقد تمَّ حصار العالَم الإسلاميّ بهذه الوسائل ((التي تُؤدِّي أدواراً مخطَّطة للتشكيك في الدين الإسلاميّ ، وتَنْشط في دعم الصهيونيَّة وتكريس مشروعاتها التوسّعيَّة على حساب العرب والمسلمين ، واستدراج المسلمين بعيداً عن قضاياهم الحيويَّة، بما تُقدِّمه من برامج شائقة، وأساليب جذَّابة ممزوجة بإغراءات ماديَّة وإثارة جنسيَّة، وإعلانات تسعى إلى تغيير أنماط السلوك والعادات والقيم والثقافة ، حتى يفقد المسلم ثقافته وهويَّته ، ويتمّ تحييده بالنسبة لقضاياه المصيريَّة))[1] .

وخطر هذه الوسائل المسموعة والمرئيَّة ملحوظ ، ولا يخفى على العقلاء .

ويُمكن التنبيه على بعضها من خلال المسألَتَيْن التاليَتَيْن :

المسألة الأولى : الإعلام المسموع "الإذاعات"

الإعلام المسموع "الإذاعات" من أوسع القنوات الإعلاميَّة انتشاراً ؛ إذ يشترك فيه المتعلِّم والعاميّ، والصغير والكبير، والرجل والمرأة.ومِمَّا يُساعد على انتشاره : قلّة تكلفته الماديَّة مقارنة ببقيَّة الوسائل .

ويظهر خطره لنا واضحاً، عندما نعلم أنَّ هناك آلاف الإذاعات التنصيريَّة الموجَّهة إلى بلاد المسلمين ، والتي تعمل بجدٍّ ونشاطٍ غير عاديّ في نشر ثقافة النصارى، وبثّ قيمهم ، والدعوة إلى دينهم[2] .

---

(١) الإذاعة الإسلاميَّة المسموعة والمرئيَّة وطموحات المستقبل، لعبدالمجيدشكري، ص٤٨٢.

(٢) انظر الغزو الثقافي : الصورة الجديدة للاستعمار ، لعبد القادر طاش ، مقال في مجلة "الأمَّة" ، العدد العاشر ، ص ٣١ .

ومن أخطر الإذاعات التنصيريَّة الخاصَّة بنشر الإنجيل بصورة علنيَّة ، أو خفيَّة متوارية : إذاعة "مونت كارلو"، وإذاعة "صوت الغفران"، وإذاعة "مركز النهضة" ، وإذاعة "قبرص" في نيقوسيا ، وغيرها[1] .

المسألة الثانية : الإعلام المرئيّ

أثبتت الدراسات والبحوث العلميَّة أنَّ تأثير الإعلام المرئيّ لا تُقاربه أي وسيلة أخرى ؛ فقد انتشرت أجهزته -كالتلفزيون والفيديو- حتى قلّ أن يخلو منها بيت، أضف إلى ذلك كثرة عدد الساعات التي يقضيها المرء أمامها؛ فقد ذكر الدكتور"حمود البدر" أنَّ الدراسات والأبحاث أثبتت أنَّ بعض الطلاب عندما يتخرَّج من المرحلة الثانويَّة، يكون قد أمضى أمام جهاز التلفزيون أكثر من خمس عشرة ألف ساعة ، بينما لا يكون قد أمضى في حجرات الدراسة أكثر من عشرة آلاف وثمانمائة ساعة على أقصى تقدير . ويُضاف إلى ذلك طول مدَّة البث يوميًّا دون عطلة أسبوعيَّة أو إجازة سنويَّة، مع الحالة النفسيَّة الجيدة للمتلقِّي الراغب في المشاهدة، المتلذِّذ بما يرى، والتي لا تلتقي في الغالب مع حالة الطالب في مدرسته ، بين زملائه وأمام مدرِّسيه[2] .

فالتلفزيون يُعتبر وسيلة الاتِّصال الأولى من حيث قدرته على التأثير المباشر على المشاهد لتغيير مواقفه وسلوكه ، لتُطابق وتُوافق النوايا والبواعث التي يُريدها القائم على هذا الجهاز .

---

(١) انظر أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، لعبد الرحمن الميداني ، ص ١٠٥ .

(٢) انظر البث المباشر : حقائق وأرقام ، للدكتور ناصر العمر ، ص ١٤-١٥ .

من أجل ذلك استغله أعداء الإسلام في غزوهم للمسلمين .

أمَّا كيف دخل الغزو الفكريّ عن طريق هذه الثغرة ؟ فجواب ذلك معلومٌ لدينا ؛ فحضارة الغرب خلَّفت صرعى لثقافته، ومستعبَدين لفكره، ومأسورين بنمط حياته وطريقة عيشه ، مِمَّن ذهبوا إلى بلاد الغرب للدراسة ، ثمّ تمكَّنوا من الوصول إلى دفَّة التوجيه الإعلاميّ في بعض بلاد المسلمين ؛ حيث تَرَكَتْ لهم تلك المجتمعات الإسلاميَّة أمر القيادة والتوجيه، وسلَّمت لهم زمامها، فسلكوا بها دروباً أسرت لُبَّها، ووافقت هواها وأمزجتها، ونقلوا للأمَّة أصول ثقافة صارت تُشارك ثقافتهم دارها، وتنتزع أبناءها ، إلى أن وصلت إلى وقت أضحت فيه لا ترضى بربَّة الدار وصاحبته ، فصارت تزعم أنَّها الأصل وأنَّ تلك هي الغريبة التي تستحق الإبعاد والطرد .

وحول هذا المعنى يقول الدكتور عمارة نجيب -مجيباً عن سؤال قد يدور في الأذهان- : ((وإن كان من حقِّ أيّ عاقلٍ أن يتساءل عن سرٍّ تصوير الأمر على أنَّه خطَّة وعلى أنَّه حصار ثقافيّ مفروضٌ لهدم قيم ومبادئ هذا البلد المسلم وليس كما يظنّ حسنو النيَّة مجرّد الرغبة في الإثراء، أو غيره.. فأمامنا الآن أمثلة عديدة يقوم بإخراجها القطاع العام للمسرح والتلفزيون ، ولا يوجد من ورائها مكسب أو دافع ماديّ ، غير مصلحة شخصيَّة اعتباريَّة واحدة ، هي : الجبهة المعادية لهذا البلد المسلم ، المتربّصة به وبمبادئه وقيمه))[1] .

---

(١) فنون المسرح ومخطط الهدم ، للدكتور عمارة نجيب . مقال في مجلة الدعوة المصرية ، العدد التاسع ، السنة السادسة والعشرون ، ص ٢٢-٢٣ .

وحتى لا يكون الدكتور عمارة نجيب مِمَّن يُلقون الاتهامات دون دليل ، يعود بالقارئ إلى حديث مدير عام الرقابة على الإذاعة والتلفزيون المصري -الأسبق- ، فيقول : ((أمَّا الحديث : فقد نشرته إحدى المجلات الأسبوعيَّة تحت عنوان: "حصاد سينما ٧٦:حرية في التعبير وثورة في التصوير"، إذ راح بعد كثيرٍ من التفكير يُلهب بلسانه السليط كلَّ الذين يُهاجمون أفلام "الكرنك"، "المذنبون"، "العش الهادئ"،"عودة الابن الضالّ" معتبراً هذه الأفلام من علامات التحوّل في السينما المصريَّة ، مؤكِّداً ضرورة مسايرة التطوّر العالميّ للسينما ، واصفاً حجج المعارضين -ومنها الآداب العامَّة- بأنَّها حججٌ مستهلكة ، وبأنَّها مترسبة من ماض انتهى ، ويجب في نظره ألا يعود ..)) . ثمّ يستطرد في سوق الأدلة الصريحة من أقوال من يُمثِّل الثقافة المفروضة على بعض بلاد المسلمين، ضمن الحصار الثقافي الهدَّام ، الذي تولَّى كبره أعداء الإسلام[1] .

الفضائيَّات والغزو الفكريّ :

ومن الظواهر السيِّئة التي تطفو اليوم على سطح مجتمعاتنا الإسلاميَّة : الفضائيَّات ، وما أدراك ما الفضائيَّات ؟ إنَّها الشبكة أو الطُّعْمُ أو الفخّ الذي يُنصب للنَّاس، فيحسبونه غذاء لذيذاً مُمْتِعاً، ولا يدرون أنَّهم هم الغذاء الذي سيُلتَهَمْ . وقديماً قيل لِـ"كارل ماركس" : إنَّ من مساوئ الشيوعيَّة مصادمتها لفطرة النَّاس ، فماذا نفعل ؟ قال : ((أَلْهُوهم بالفنّ ، فإنَّه يحلّ محلّ الدين))[2] .

---

(١) الدورية نفسها .

(٢) نقلاً عن مجلة "الاعتصام" ، السنة الثانية والأربعون ، العدد العاشر ، ص ٣٢ .

وأكثر فضائيَّاتنا تُقدِّم لمجتمعاتنا الإسلاميَّة ثقافاتٍ مختلفةً عن واقعنا الإسلاميّ.

ومن الظواهر السيِّئة التي تطفو اليوم على شاشات فضائيَّاتنا : "الأفلام" الهابطة ، من غربيَّة وعربيَّة ، تُقدَّم للنَّاس على أنَّها عمليَّات تسلية وإضحاك وتزجية للفراغ، بوسائل تُؤذي المشاعر، وتجرح الحياء، وتقضي على الفضيلة .

فحسبك أن تنتبه إلى الممارسات السّلوكيَّة التي تحدث في أكثر الأفلام المعروضة ، فسوف ترى خيانة المرأة لزوجها عملاً طبيعيًّا تطلب به حقًّا ، أو تردّ به على موقف لم ترض عنه . وترى نظيرَه من الرجل تحلُّلاً من مسؤوليَّة ، أو انهماكاً في شهوة ، تحت مسمَّى الحريَّة ، أو ممارسة حقِّه في الحياة . وإلى جانب هذين : ترى البنت قد شقَّت عصا الطاعة على أبويها ، وكذا أخوها ..

والمسلم حين يرى هذا السمّ الزعاف يُعرض عليه ، قد ينفعل به ، أو تظهر على وجهه علامات استفهام سبب ظهورها -بالدرجة الأولى- عدم فهمه للإسلام على حقيقته، وعدم معرفته أنَّ هناك نظاماً إلهيًّا يحكم العلاقة الأُسريَّة ، ويُعطي لكلِّ واحدٍ من أفرادها حقوقاً لا يجوز تجاوزها أو التهاون في القيام بأدائها . ويظنّ الرائيّ أنَّ مجتمعاتنا صارت مراتع خصبة تعدو فيها الجريمة، بلا محظورات، وتجول بين جنباتها كلّ صنوف الرذائل والجرائم، بسبب تلك الأفلام التي يراها تُعبِّر عن مجتمع جديرٍ بأن يكون مجتمعاً وجوديًّا .

ولـو تركنا خطر فضـائيَّاتنا ، واتجهنا نحو فضائيَّات أعدائنا ، لوجدنا القنوات اليهوديَّة التي يُمكن التقاطها في أكثر بلاد المسلمين تبثُّ الدعوة إلى الإباحيَّة في أفلام جنسيَّة فاضحة ، ليس من ورائها هدفٌ ولا فكرةٌ إلا إغـواء الشباب ، وجـرّهم إلى طريق الانحراف، وإبعادهم عن الاهتمام بالأمور العظام، والانشغال بقضايا أُمَّتهم ؛ فهي تمثِّل حرباً جنسيَّة تستهدف تدمير طاقات الشباب الذي يُعاني من تأخُّر سنّ الزواج في أكثر بلاد المسلمين لأسباب اقتصاديَّة .

وكذا الحال في غيرها من الفضائيَّات الأجنبيَّة، سيّما أفلامها التي بلغ منتجوها من القذارة مبلغاً لم يقتصروا فيه على عرض العمليَّات الجنسيَّة الطبيعيَّة ، بل تعدَّوْه إلى عرض الشذوذ الجنسيّ من "لواط" ، و"سحاق" ، وغيرهما .

إنَّها وجوديَّة "جون بول سارتر" تُقدَّم إلينا في صورةٍ مرغِّبة ، وتُعرض علينا في شكلٍ مشوِّق ، لتبدأ هدم معتقداتنا وقيمنا وحصوننا من الداخل[١] .

والملاحظ على أكثر الشباب -في وقتنا الحاضر- اهتمامهم ببرامج القنوات الفضائيَّة الأجنبيَّة، بسبب قُربها من رغباتهم الغريزيَّة ، وهو الأمر الذي قد يؤدِّي إلى هروبهم من برامجهم التلفزيونيَّة الوطنيَّة ، بل هروبهم من محيطهم الاجتماعيّ، مِمَّا يُؤدِّي إلى تكوين خصائص سلوكيَّة مضطربة ، تجعلهم ينتقلون من الفعل إلى موقع الانفعال ، ومن ميدان التأثير ، إلى خانة التأثُّر والاستلاب .

---

(١) انظر أضواء على أفلام الفيديو ، للدكتور محمود عبده ، ص ٥٣ .

وهـذا سيؤدِّي -مستقبلاً- إلى تفلُّت هؤلاء الشباب من قيمهم وتقاليدهم، وتمرّدهم عليها، لظنّهم أنّها قيودٌ، ينبغي عليهم التحرُّر منها .

فلماذا تتنافس أكثر فضائيَّاتنا على بثّ البرامج التي تُشجِّع على الانحلال فتكون مثل الفضائيَّات اليهوديَّة والنصرانيَّة وغيرها من الفضائيَّات المعادية للإسلام ؟ ألا تكون بذلك قد ساعدت أعداءنا على إفساد شبابنا المسلم ؟!

إنَّ سلبيَّات الفضائيَّات لا تُقاس بكمِّها، إذ ليست العبرة بالكمِّ هاهنا، وإنَّما العبرة بالنوع؛ لأنَّ خطرها أشبه بأخطاء الأطباء مع المرضى،والتي كثيراً ما تكون نتائجها خسائر يصعب تعويضها وإصلاحها، وقد تكون الموت في أحيان كثيرة . لكنّ الموت هاهنا ذو صيغة أشبه بالانتحار الجماعيّ ، فليس هو قصراً على أفراد معدودين، وإنَّما يطال أجيالاً من النَّاس، وحشداً من القيم، وبناء ثقافيًّا حضاريًّا كاملاً يتغلغله الدين ويسري في كيانه، ويكاد يتّصل بكلّ جزئيَّة من جزئيَّاته . ومن هنا كان خطأ الإعلام خطيئة كبرى، لأنَّه خطأ قاتل ، وأثره أثرٌ جماعيّ لا فرديّ أو محصور[1] .

البث المباشر والغزو الفكري :

البثّ المباشر هو : قيام الأقمار الصناعيَّة بالتقاط البثّ التلفزيونيّ في بلدٍ من البلدان، وبثّه مباشرة إلى أماكن تبتعد عن مكان البثّ الأصلي مسافات بعيدة .

ولقد كان كثيرٌ في هذا العالَم يتطلّعون إلى اليوم الذي يستطيع فيه التلفزيون الوصول إلى كلِّ شعوب الأرض في نفس الساعة واللحظة التي

---

(١) انظر التقرير الذي أعدَّته مجلة "المجتمع" عن التلفاز في مجتمعنا : الواقع القائم والدور المرتجى ، العدد ٦٠٣ ، ص ١٠-١١ .

يقع فيها الحدث كما هو حال المذياع[1] . وتمَّ لهم ما أرادوا بواسطة "البث المباشر" .

وأمام امتلاك الغرب لناصية التقدُّم ، واحتكاره لصناعة تقنيات الاتصال والإعلام والمعلومات ، نشطت الجهود والمحاولات الغربيَّة لتوظيف البيئة الجديدة للاتصال الدولي لخدمة أهدافها ، وتحقيق مخططاتها في الهيمنة والسيطرة وغزو عقول شبابنا وتغريبهم .

ولقد أصبحت المجتمعات -ومن بينها كثيرٌ من الدول الإسلاميَّة- تتجه إلى الدخول في قالب ثقافي واحد ، يتمّ إعداده غالباً في الدول غير المسلمة ، بحكم سيطرتها على التكنولوجيا الحديثة التي مكّنتها من الاتصال بالشعوب الأخرى ، لعلمها أنَّ تغريب ثقافات الأمم الأخرى يطمس هويّتها ، ويمزقها من الداخل ، ليُصبح أفرادها مجرّد أجساد بلا عقل ولا انتماء[2] .

والبثّ المباشر استعمار جديد لبلاد المسلمين ، وهو أخطر من الاستعمار العسكري؛ إنّه استعمارٌ للقلوب نستقبله بالترحاب، فيقضي على ديننا وقيمنا .

خطر الإعلام المرئي على الأطفال :

أمَّا في عالم الطفل: فلا يُوجَد حديثٌ في أغلب إعلامنا المرئي إلا عن مفاهيم أدب الطفل الغربيّ ، -مع أنَّه يختلف عن مفهوم أدب الطفل المسلم- . هذا في وقتٍ صار فيه الإعلام هو المصدر الأساس ، وربَّما الوحيد لتلقِّي الثقافة .

---

(١) انظر التكنولوجيا الحديثة والاتصال الدولي والإنترنت ، لعلي شمو ، ص ١٦٢ .

(٢) انظر : الإعلام الإسلامي : الواقع ، التحديات ، المستقبل ، ص ٨١ . وبث وافد على شاشات التلفزيون ، لانشراح الشال ، ص ١٣.

وأغلب "أفلام الكرتون" تحمل أساسيَّات في التصوّر تختلف عقيدة ومنهج حياة عن التصوّرات الإسلاميَّة ، بل وتتعارض معها ، كما نرى الكثير منها تؤدِّي بالأطفال المشاهدين إلى الإيمان بالسحر ، وأقلُّها خطراً يُرسِّخ الخرافة في المفاهيم ، ويحشو بها عقول الأطفال ، نتيجة لِما يعرضه من خوارق كاذبة ، أو شعوذة ماكرة .

ومن المؤسف أن نرى الآباء والأمّهات يُسلِّمون أبناءهم للتلفاز ليقوم بتربيتهم ، دون أن يُدركوا ما يُمثِّله ذلك من خطرٍ على ثقافتهم وشخصيّتهم . ويزداد أسفنا إذا علمنا أنَّ كثيراً من البرامج الأجنبيَّة التي تُبثّ على شاشاتنا من نوعٍ تنصيريّ ، يُحاول تحبيب الأطفال بما يُسيء إلى دينهم ، أو بعلاقات الحبّ والاختلاط المحرَّم بين الجنسين .

ولقد صار أطفالنا في ظلِّ الفضائيَّات والبثّ المباشر يُشاهدون أفلام العنف والجريمة يوميًّا ، حتى تواصى العقلاء بضرورة تحجيم الخطر قبل أن يستفحل . فقد شهدت "دبي" عام ١٤١٨هـ ندوة حول "أمن الطفل العربي" ، شارك فيها نخبةٌ من الخبراء والباحثين ، وقد ربطت هذه الندوة بين أمن الطفولة العربيَّة وبرامج العنف الموجَّهة للأطفال ، مشيرةً إلى ضرورة الاستعانة بالخبرات الأمنيَّة والتربويَّة والإعلاميَّة في تخطيط البرامج الموجَّهة للأطفال لتفعيل دورها ، وربطها بالواقع الاجتماعي للطفل العربي . ولقد ناشدت هذه الندوة في توصياتها وزراء الإعلام العرب اتّخاذ الإجراءات الكفيلة بإلزام المحطات الفضائيَّة العربيَّة غير الملتزمة في برامجها بالقواعد السلوكيَّة والأخلاقيَّة والتقاليد العربيَّة الراسخة باتخاذ

خطوة "التشفير" بحيث لا يُشاهدها سوى من يسعى إليها ، نظراً لِما لبرامجها من تأثيرٍ تربويّ وقِيَمِيّ خطيرٍ ومدمِّرٍ على أمن الطفل . كما طالبت الندوة أجهزة الإعلام -خاصَّة المرئيَّة- بالتدقيق في اختيار الموادّ الإعلانيَّة والإعلاميَّة الموجَّهة للأطفال لدعم إيجابيّاتها ، وتقليص سلبيَّاتها[١] .

وهناك العديد من الأبحاث والدراسات الميدانيَّة عن آثار مشاهد العنف من الناحية النفسيَّة على الأطفال ، أُجريت على آلاف الأطفال من مختلف الأعمار، ومختلف المستويات الدراسيَّة ، وكلُّها أكَّدت ميول الأطفال لمحاكاة النماذج الاعتدائيَّة التي تُقدِّمها الأفلام[٢] ، بل إنَّه -أحياناً- يتجاوز حدود العدوان على الآخرين ، إلى العدوان على النّفس .

وعَقَدَ مركز الدراسات العليا للطفولة -التابع لجامعة عين شمس بالقاهرة- مؤتمره الخامس لدراسة تطوير سبل رعاية الطفولة، وحمايتها من الظواهر الطبيعيَّة وركَّز المؤتمر في جلساته على خطورة التأثير القيمي لوسائل الإعلام -سيّما التلفاز- على سلوكيَّات الطفل .

وذكر أحد الباحثين[٣] أنَّ التلفاز يبثّ برامج ليس من السهل التعايش معها، وأنَّ نسبة برامج الأطفال المستوردة ٨٠٪ ، وأنَّ الساعات الموجَّهة

---

(١) تقرير أعدَّته مجلة "المجتمع" عن هذه الندوة ، في عددها ١٢٥٢ ، ص ٥٩ .

(٢) تقرير عن الآثار السلبيَّة لمشاهدة العنف والإجرام في التلفزيون والسينما على السلوك الإنساني، أعدَّه الدكتور إدريس الكتانيّ، ونشرته مجلة"الإصلاح" في عدديها ١٢١-١٢٢، (انظر العدد ١٢٢ ، ص ٢٨) .

(٣) وهو الدكتور فاروق أبو زيد ، عميد كليَّة الإعلام في جامعة عين شمس .

للأطفال تزيد عن (٤٥,٠٠٠) خمس وأربعين ألف ساعة سنويًّا ، وهي نسبة خطيرة على تشكيل عقليَّة وثقافة أبنائنا ، سيَّما وأكثر البرامج مستوردة ، وهي تكشف عمَّا يُعانيه أطفالنا من انفصام في شخصيّتهم ، ومن ضعفٍ في انتمائهم ، وتزعزعٍ في هويّتهم ، وانحسارٍ في قيمهم[١] .

ومن الجدير بالذكر أنَّ الأطفال العرب يُشاهدون في برامجهم -المستوردة- مشهدَ عنفٍ كلّ ثلاث عشرة (١٣) دقيقة ، ومجرماً عريقاً في الإجرام كلّ سبع عشرة (١٧) دقيقة ، بينما تبلغ ساعات المشاهدة في المتوسط ثلاث ساعات يوميًّا للأطفال ، مِمَّا يعني حصول الصغار على جرعةٍ كبيرةٍ من العنف والشرِّ في اليوم الواحد .

ولا ننسى خطراً آخر يُهدِّد أطفالنا الصغار ، إنَّه خطر "الفيديو" ، ذلك الجهاز البيتيّ الذي يُوضع -في الغالب- داخل الغرف وتحت تصرُّف الجميع ، ويُعامل كما يُعامل المذياع أو التلفاز ؛ فالأشرطة ملقاة أمام الصغار والكبار ، والجهاز مستعدّ للتشغيل في أي وقتٍ وحين. وشيءٌ طبيعيٌّ -عند كثيرٍ منَّا- أن يسترخي الأطفال عند أيّ "فيلم" . بل ربَّما رأى بعضُنا في ذلك خلاصاً من إزعاجهم وضجيجهم . وكثيرٌ منَّا لا يُميِّز بين ما يُناسب الطفل وما لا يُناسبه ، وبالتالي فإنَّ طفلة صغيرة ستشاهد مشاهد الرقص وتوابعها ، ومراهقةً ومراهقاً سيرى لقطات الحبّ والغرام. وبالتالي فإنَّ من أطفالنا من سيُشاهد "أفلاماً" يَحْرُمُ على الأطفال مشاهدتها في "أمريكا" ، و"أوروبا"، وكلّ دول العالم، والله وحده يعلم فداحة الخطب ومدى التأثير الذي سيُصيب هذه الفطر السليمة .

---

(١) انظر التقرير الذي أعدَّته مجلة "المجتمع" عن هذا المؤتمر في العدد١٢٥٢، ص٥٨-٥٩.

المرأة في الإعلام المرئي :

أمَّا عن نظرة أكثر الإعلام للمرأة ، فصورتها فيه تعكس النظرة الدونيَّة والحيوانيَّة والتجاريَّة لها في سائر المنتجات الفنيَّة ؛ فهي إمَّا مجرَّد باحثة عن المتعة، أو جارية في بلاط الرجل، تتهافت على الرجل بأي ثمن، ولو كان الثمن عفّتها وموطن فخرها وعزَّتها . وهذا يُناقض الواقع جملة وتفصيلاً ؛ لأنَّ معظم نسائنا -بحمد الله- يُحافظن على شرفهنّ وعفّتهنّ وكرامتهنّ .

ويتألَّم الإنسان حين يرى أكثر الأفلام لا تُلقي بالاً لحكم العلاقة الجنسيَّة بين الرجل والمرأة من حيث الحلال والحرام ، بل يضع الأوّليَّة لما يُمكن تسميته "امتلاك الرجل" . فالمرأة التي تنجح في امتلاك الرجل بأية وسيلة ، مشروعة أو غير مشروعة ، هي المرأة الناجحة الشجاعة . أمَّا تلك التي تُحافظ على عفّتها وشرفها ، فهي الرجعيَّة المتخلِّفة .

ويعجب المشاهد حين يرى ظاهرة شاذَّة وغريبة تُقدَّم في "الأفلام العربيَّة" ، وهي ظاهرة المرأة المسترجلة أو "المرأة الفتوّة" ، التي تُنافس الرجال وتتحدَّاهم ، وتتزعَّم عصابات من الرجال أو النساء ، وتقودهم إلى الدم والعنف والجنس والمخدِّرات . وهذه الظاهرة غريبة على مجتمعنا الإسلاميّ ، وبعيدة عن قيمنا الإسلاميَّة. ومهما تدنَّت المرأة -في المجتمع المسلم- في انحرافها الخُلُقي والسلوكيّ، فلن تكون بتلك الصورة البشعة التي تُقدِّمها لنا "الأفلام" ، وتُحاول أن تجعل منها شخصيَّة واقعيَّة ومألوفة. وما هي إلا رجع صدى لحال المرأة الغربيَّة، ورغبة ساذجة وفجَّة في تقليد الأفلام الأجنبيَّة ، وسعياً لتحقيق مزيد من الكسب على حساب

المرأة في بلاد المسلمين ، تلك المرأة التي تخوض معارك شريفة من نوعٍ آخر للتغلُّب على عناء تربية الأولاد ، وصعوبة المعيشة ، وقسوة الظروف الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة ، والتي يبدو أنَّ منتجي الأفلام لا يعلمون بها ولا بطبيعة كفاح المرأة في مواجهتها .

ويذهب القوم إلى أبعد من ذلك في "أفلامهم" حين يتحدَّثون عن الشذوذ الجنسيّ عند النساء. فقد سمحوا لأنفسهم بالدخول إلى سجون النساء، وتناولوا مسألة "الشذوذ الجنسي" بين السجينات المنحرفات ، ثمّ قدَّموها للجمهور على أنَّها ظاهرة طبيعيَّة تسود المجتمع ، لا مشكلة فرديَّة ينبغي حلُّها ، فأساؤوا إلى المجتمع، وكذبوا على الواقع، ونسبوا إلى المسلمين ما يتنافى مع قيمهم وأخلاقهم.

أما القدوة في الإعلام :

فأعداء الإسلام قد استغلوها في غزو عقول الشباب والشابات وقلوبهم باستخدام النموذج الساقط في الأفلام والمسرحيات والتمثيليات ، وبالروايات المطبوعة التي يقرؤها الشباب في حلِّهم وترحالهم، حتى صار كثيرٌ من شبابنا لا يتعلّمون أخلاقهم إلامن أولئك الساقطين، ولا يتخذون قدوة سوى أولئك المنحرفين. فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ويزيد النَّار اشتعالاً ذلك الترويج الذي يلقاه أولئك في الصحف وأجهزة الدعاية ، حتى غدت ممثِّلات "السينما" ، وراقصات الليل ، وبنات الهوى ، وفتيات ما يُسمَّى بـ"الكباريهات" بطلات مكافحات ، تُجرى معهم المقابلات ليُسألوا عن نوع المياه التي يشربونها ، والسيارات

التي يركبونها ، والألوان التي يُفضِّلونها . وأكثر المشاهدين حريصون على ألا تفوتهم كلمة من تلك الكلمات التي تسيل من أفواه أولئك القدوات الإعلاميَّة .

وأغلب الإعلام -في وقتنا الحاضر-يُصوِّر الممثِّلين والممثِّلات على أنَّهم أبطال وأعلام ونجومُ شاشة ، وتُعْقَد لهم المقابلات ، ويُسألون عن نظرتهم إلى الجيل المعاصر ، وعن أحوالهم ، ويُستَفتون في حلّ مشكلاتهم . ونراه يحتفي بدعاة التحلُّل والإباحيَّة ؛ فيحتفل بـ"جون بول سارتر" رأس "الوجوديَّة"، وبعشيقته "سيمون" التي دعت نساءنا إلى كسر قوامة الرجل، وبغيرهما من أعداء الإسلام.

في الوقت الذي لا يُقدِّم لمشاهديه جهودَ العلماء الذين يسهرون الليالي في المعامل والمختبرات ، ولا الدعاة الذين ينشرون الفضائل والأخلاق ، ويحرسون العقيدة والقيم ، ولا الأعلام الذين قدَّموا لهذه الأمَّة نورَ أعينهم ، وعصارة أرواحهم . بل لا أكون مبالغاً إذا قلت : إنَّ عشرات الملايين من جيلنا المسلم المعاصر لا يعرفون سيرة نبيِّنا ﷺ ، بل ولا سيرة أعلام الصحابة -ناهيك عن غيرهم- ، ولا تاريخ التشريع الإسلاميّ . في حين أنَّه يحفظ تاريخ الممثِّلين والممثّلات، والمغنِّين والمغنيات، والفنَّانين والفنانات، والريَّاضيِّين والرياضيَّات .

أمَّا التقليد في الإعلام :

فقد صار طابعاً واضحاً بين الشباب في السنِّ الحرجة . ومِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ أفلام الجنس والجريمة كان لها أبعد الأثر في اتساع مساحة الانحلال

والاضطراب؛ فالجرائم التي تقع في أغلب الدول الإسلاميَّة؛ من اغتصاب، وخطف ، وقتل ، وسرقة ، ونحو ذلك ، إنَّما تقع بطريقة مأخوذة من مسلسلات أو أفلام أجنبيَّة ، تحكي حوادث سرقة، أو قتل، أو اغتصاب يقوم بها مُجرمون في بلاد الغرب، ثمّ تُعرض على أبنائنا ، ليُقلِّدوا أولئك في طريقتهم .

ومن المؤكَّد عندي أنَّ للأفلام الأمريكيَّة البوليسيَّة وغيرها من أفلام المغامرات ، ضلعاً في غرام بعض شبابنا بالتفحيط والسرعة ؛ فبعضهم ينقل مغامراته إلى الشارع، ويُصبح -عند نفسه- هو بطلُها .

خطر المسلسلات والتمثيليَّات التي تُسمَّى بـ"الإسلاميَّة" :

أمَّا ما يبثّه الإعلام مِمَّا يُسمَّى بـ"التمثيليَّات أو المسلسلات الإسلاميَّة": فإنَّنا نلمح في أكثرها تشويهاً ودسًّا واضحاً صريحاً في التاريخ الإسلاميّ ؛ إذ ترتبط مفاخر وبطولات قادة المسلمين بالحبّ ، ويُبْرَزُ دورُ المرأة باعتبارها فاتنة تُؤثّر في الأحداث بجمالها ، لا بإيمانها وصلاحها . ويتقمَّص دورَ قادة المسلمين ممثِّلون عرفهم المشاهدون في أدوار الحبّ والغرام والإجرام، مِمَّا يُحدث ما يُشبه الانفصام الشخصيّ لدى أبنائنا[1].

ومِمَّا يزيد الطين بِلَّة ما نجده في تلك المسلسلات أو التمثيليَّات من اختلاط الرجال بالنساء، ومن مخالفات دينيَّة أخرى واضحة ؛ فحين يسمع

---

(١) انظر التلفزيون بين المنافع والمضارّ ، للدكتور عوض منصور ، ص ٢٤-٢٥ . وقد ساق شواهد عديدة من التمثيليَّات التي شُوِّهت فيها شخصيَّة عددٍ كبير من قادة المسلمين وخلفائهم ؛ كعقبة بن نافع ، وهارون الرشيد ، وغيرهما .

أبناؤنا ويرون أشخاصاً تلوك شفاههم عبارات إسلاميَّة لم تشرق بها قلوبهم، ثمَّ يبيحون لأنفسهم الاختلاط السافر وكشف العورات، يُخشَى عليهم أن يفهموا من تلك المشاهد المزرية أن لا حرج على المسلم في أن يحمل القيم الإسلاميَّة ، ويُدافع عنها، بل ربَّما ضحَّى في سبيلها بالنفس والمال ، دون أن يرى بأساً في حياة الاختلاط والتعرِّي ، فينشأ جيلٌ من الأبناء مُسخت العقيدة الصحيحة في نفوسهم .

أخطار الغزو الإعلاميّ :

ستُتيح الفضائيَّات والبثّ المباشر ووسائل إعلاميَّة أخرى الفرصةَ للثقافات الأجنبيَّة أن تقتحمَ أجهزة المستمعين والمشاهدين في بيوتهم مباشرة دون استئذان أو رقيب. وسيترتَّب على هذا غزوٌ ثقافيٌّ وفكريّ واجتماعيّ، دون شعورٍ من المستقبِل؛ فيتمّ الغزو –على حدّ قول سعادة الدكتور غازي القصيبيّ– دون أن يُدركَ ضحيَّة الغزو أنَّه مُعرَّضٌ لأيّ خطر، فيُقبل في حماسة وبلاهة، لا على قبول الغزو فحسب، بل على اعتناقه واحتضانه . وهنا مكمن الخطر؛ إذ كيف يُمكن أن تقاوم عدوًّا لا تشعر بوجوده[1] ؟!

ولا شكّ أنَّ لهذا الغزو الإعلاميّ آثاراً خطيرة، وعديدة، من أبرزها :

١– الخطر العقديّ : وهو أخطر ما يُتوقَّع أن يجلبه الإعلام ، سيّما الفضائيَّات والبثّ المباشر ؛ حيث يؤدِّي دوراً خطيراً في خلخلة العقيدة في نفوس المسلمين، أو إخراجهم من دينهم، وإضعاف عقيدة الولاء والبراء، والحبّ في الله ، والبُغض في الله في قلوبهم[2] .

(١) انظر المسلمون في مواجهة البثّ المباشر ، ص ٥٥ .

(٢) انظر بيان ذلك مع الأمثلة في كتاب البث المباشر للدكتور ناصر العمر ، ص ٥٢ .

٢- والخطر الثقافي ؛ حيث أثبتت الدراسات أنَّ الأفلام والبثّ المباشر يُضعف مستوى التعليم لدى أفراد الأمَّة ، فيشغلهم عن الدراسة ، ويُضيِّع أوقاتهم بلا فائدة ، ويُشيع فيهم الخمول وعدم الجديَّة ، ويُضعف لغتهم العربيَّة . إضافة إلى تلقينهم مفاهيم وثقافة غريبة عن مفاهيمنا وثقافتنا الإسلاميَّة . يقول الأستاذ عبدالرحمن العبدان في معرض حديثه عن البث المباشر وخطره الثقافي : ((.. ثمَّ البرامج الثقافيَّة الموجَّهة ، والتي يُمكن أن نُسمِّيها بالغزو الفكري. وهذه سوف تُسيء لكثيرٍ من مفاهيم الشعوب المستهدفة وقيمها، ولا بُدَّ من مراقبتها، وتبصير المتلقّين بأهدافها، وتحصينهم من آثارها))[١] .

٣- والخطر الأخلاقي ؛ فالبثّ المباشر والأفلام يُساهمان في الدعاية إلى أمور محرَّمة، وفي تفجير الغرائز ، وما يتبع ذلك من البحث عن سُبُل غير شرعيَّة لتصريفها ، مِمَّا يُؤدِّي إلى شيوع الرذيلة ، وانتشار المنكر .

٤- والخطر الاجتماعي خصوصاً ما يتعلَّق بالنساء والاختلاط ، وتقليد نمط الحياة الغربيَّة[٢] ، وهجر العادات الحميدة ، ونبذ القيم والمُثُل العُليا . وقد اعترفت منظمة "اليونسكو" بذلك في التقرير الذي صدر عنها ، وجاء فيه : ((إنَّ إدخال وسائل إعلام جديدة ، وخاصَّة التلفزيون في المجتمعات التقليديَّة ، أدَّى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين ، وممارسات حضاريَّة كرَّسها الزمن))[٣] .

وهذه الأخطار وغيرها كثيرٌ ، نَتَجَتْ عن الغزو الواضح الموجَّه إلى أُمَّتنا بغرض تخريب ثقافتها،وإبعادها عن الاهتداء إلى شخصيّتها المستقلَّة، والاعتزاز بحضارتها المتميِّزة.

❁❁❁

---

(١) جريدة الرياض ، العدد ٨٤٥٠ .

(٢) انظر الشباب والانفتاح العالمي ، للشيخ صالح بن غانم السدلان ، من أبحاث المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلاميّ ، ص ٤١٢ .

(٣) نقلاً عن كتاب البثّ المباشر : حقائق وأرقام ، لناصر العمر ، ص ٧٣ .

المطلب الثالث : الشبكة العالميّة للمعلومات من الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكري

"الإنترنت" مجموعة من الحاسبات الآليَّة ، تتحدَّث عبر الألياف الضوئيَّة وخطوط الهاتف "التلفون" ووصلات الأقمار الصناعيَّة وغيرها من الوسائل ، وتربط أجزاء العالم المختلفة، بحيث يُمكنك التحدّث إلى أصدقائك وأفراد أسرتك المنتشرين حول العالم بيسرٍ وسهولة . فهي وسيلة للتواصل بين حضارات الشعوب وثقافات الأديان المختلفة[1] .

بدأت حياة الإنترنت قديماً في عام ١٩٦٩م ، بغرض ربط إدارة الدفاع الأمريكيَّة مع متعهدي القوات المسلحة بشبكة واحدة . ثمَّ تطوَّرت لتُستخدم من قبل مؤسّسات أخرى -سيّما الجامعيَّة- في عام ١٩٨٣م ، إلى حدّ أنَّها بدأت تُعاني من ازدحامٍ يفوق طاقتها[2] .

ثمَّ توسَّع استخدام هذه الشبكة ، حتى صار بإمكانها تمرير (٢١) واحدٍ وعشرين مليار وحدة معلوماتيَّة في العام الواحد. وتجاوز عدد الحاسبات الموصّلة بها المائة مليون حاسب قبل نهاية عام ١٩٩٨م[3] .

ويكمن خطر "الإنترنت" في كونها فوضى تعاونيَّة لا إدارة مركزية لها؛ فكلّ شبكة مشتركة في الإنترنت لها قواعدها الخاصَّة وهيكلها التنظيميّ لإداراتها .

---

(١) انظر التكنولوجيا الحديثة والاتصال الدولي والإنترنت ، لعلي محمد شمو ، ص ٢٢٧ .
(٢) انظر الإسلام والإنترنت ، لأحمد جوهر أحمد ، ص ١٠-١١ .
(٣) انظر التكنولوجيا الحديثة والاتصال الدولي والإنترنت ، لعلي محمد شمو ، ص ٢٣٣ .

وقد اكتسبت "الإنترنت" سمعة سيِّئة بسبب انفتاحها غير المحكوم أخلاقيًّا ؛ فهي بحكم تحرُّرها من كلّ قيدٍ أو ضابطٍ اجتماعيّ أو رقابيّ ، وبحكم الخصوصيَّة والاتساع اللتين تُوفّرهما ، تصنعُ حالةً نفسيَّةً غيرَ مسبوقةٍ في تاريخ الإنسانيّة ؛ إذ تُتيح للإنسان إطلاق رغباته الدفينة كلّها ، والتعبير عنها بصراحة مع من يرغب ، عبر غُرف "الدردشة" ، أو ما يُطلق عليه اسم "الشات"[١] .

ولقد دفعت المخاطرُ التي يتداولها النَّاس عن "الإنترنت" بعضَ الأُسرِ إلى التفكير بشكلٍ جدّيّ قبل الإقدام على إدخال خدمة "الإنترنت" إلى أجهزة حواسيبهم ، وغدا بعضُهم يتساءل : ما الفائدة التي سأجنيها من استخدام "الإنترنت" ؟ وما قيمة هذه الفائدة في مقابل مخاطره وشروره ؟

وكذا أقلقت "الإنترنت" كثيراً من أهل الخير، بسبب استغلالها البشع من قبل عصابات الجريمة المنظَّمة ، وتُجَّار الأعراض ، والداعين إلى كلِّ رذيلةٍ وفاحشة وفوضى ، فغرقت كثيرٌ من فوائدها العظيمة في بحرٍ آسنٍ كريه الرائحة والمنظر .

وقد تنبَّه أعداء الإسلام إلى أهميَّة هذه الشبكة "الإنترنت" في نشر شبهاتهم ، وبثّ أباطيلهم ، فاستغلُّوها استغلالاً واضحاً في غزوهم لنا فكريًّا .

---

(١) تحدَّث كثيرٌ من الشباب عن الحرية المفرطة التي تنضح بها غرف الدردشة "الشات" ، وذكروا كيف أنّ الجنسين في هذه الغرف يُطلقون رغباتهم الدفينة ، ويُعبرون عنها بصراحة تامَّة دون حياء أو خجل، ودون وازعٍ من دينٍ، أو خوفٍ من رقيب. (انظر التحقيق الذي أجرته مجلة "الأسرة"، ووسمته بـ "الإنترنت ربّ الأسرة الجديد"، في عددها رقم١١١، ص ١٦-٢٢) .

فما من عدوّ للإسلام والمسلمين ، إلا وله في هذه الشبكة العالمية موقعٌ يُخاطب فيه غرائز شبابنا قبل عقولِهم، ويُدغدغ عواطفهم، ببثّ آلاف الشبهات حول دينهم، ونبيِّهم، وكتابهم، وحملة الدعوة الأوَّلين، من خلال ملايين الأجهزة التي تدخل على بيوتنا ، لتنشر فيها حصاد هشيم أعدائنا .

فخطر "الإنترنت" ملاحظٌ ، سيّما في برامج "الدردشة" ، "الشات" ؛ حيث يُتاح المجال فيها لكلّ عدو من أعدائنا أن يُلقي شبهاته ، ويُناقِشُ فيها الآخرين مناقشةً إبليسيَّة. والطرفُ الآخر غالباً ما يكون جاهلاً بدينه، سريعَ التأثُّر بما يُلقَى إليه من شبهات ، بسبب ضعف ثقافته الدينيَّة .

عدا عن آلاف المواقع الإباحيَّة التي تنشر الفساد ، وتُكرِّس الانحلال .

ومن هنا كان إدخال هذه الشبكة إلى مجتمعات المسلمين يُشكِّل تحدياً بارزاً لنا -في وقتنا الراهن- ، بسبب عدم وجود أسسٍ تربويَّة مرافقة لها ، ولا خطَّة تربويَّة معدَّة من قبلنا لاستقبالها . وبسبب ما فيها من زخمٍ هائلٍ من بيانات لم تُقنَّن أو تُنظَّم . يُضاف إلى ذلك : تلك التطوّرات السريعة والمتلاحقة في مجال ابتكار الجديد في هذه التقنية، مِمَّا يجعل عمليَّة اللحاق بها متعبة، سيّما في ظروف عدم الاستعداد لاستقبالها ، وعدم الجديَّة في التعامل معها من أغلب شرائح المجتمع .

وكذا احتكارُها من قبل فئات عالميَّة تُريد إدارة الزمام من مواقعها وحسب مشيئتها ، يُشكِّل تحدياً آخر لنا ولقيمنا ولأخلاقنا .

المبحث السادس : المؤتمرات العالميّة

كان ولا يزال عهدُنا بالزيف أنَّه يُلبِس الحقَّ ثياب الباطل ، ويُلبس الباطل ثياب الحقِّ . كما كان ولا يزال يُلبس المعروف ثوب المنكر، ويُلبس المنكر ثياب المعروف . كما كان ولا يزال يخلع على الرذيلة ملابس الفضيلة ، ثمَّ يخلع على الفضيلة ملابس الرذيلة .

وهذا ديدن أكثر المؤتمرات الدوليَّة والمعاهدات العالميَّة التي تُعقد باسم حريَّة المرأة، وحقوق الإنسان، والتعليم، والتقارب بين الأديان،ونحو ذلك.

فهي زيفٌ، لكنَّه زيفٌ يؤسِّس الحضارة الجديدة ، ويضع القواعد للمدنيَّة الحديثة باستخدام وسائل يستطيع من خلالها أن يضغط على دعاة الحقّ ، وأن يقلب الحقائق إلى أباطيل .

فمشاركة الرجل للمرأة ، ومشاركتها للرجل في كلّ الأعمال والتخصّصات والحقوق ، والاختلاط في التعليم ، هو أقصى ما وصل إليه علم المزيّفين لتحقيق المساواة والتقدُّم .

وتركُ مسائل الحبّ والجنس ومقدّماتها للحريّات الشخصيَّة ، هو أقصى ما وصل إليه علم المزيِّفين لتحقيق السعادة والحريَّة .

وتحديد النسل ، ووقف الإنجاب ، وتقليل عدد المسلمين ، أقصى ما وصل إليه علم المزيّفين لتحقيق الرفاهية .

وانتهاك حرمة الشرائع الإلهيَّة والوحي السماوي ، أقصى ما وصل إليه علم المزيِّفين لتحقيق العدالة والتقدّميَّة .

والإنسان في نظر هؤلاء المزيِّفين لايفترق عن الحيوان في أمور الحبّ والجنس فينبغي ألا يفترق عنه في السلوك المحقِّق لهذه الشؤون .

والأسرة في نظر هؤلاء المزيِّفين مأمورةٌ بالاستماع إلى نصائحهم، والاستجابة لمخطّطاتهم، كي تتمكَّن من التغلُّب على المشكلات التي تواجهها.

إلى آخر هذيانهم المحموم الذي يُخاطب الغرائز لا العقول،ويستند إلى الوهم لا الحقيقة، وهو عبارة عن ظلمة كثيفة، صنعها غبار الهدم الفكري خلال زحف جيوش الباطل، ودلف إلى المسلمين عبر ثغرة المؤتمرات الدوليَّة .

ولعلّ أول مؤتمر دوليّ -إسلاميّ نصرانيّ- عُقِدَ ، كان في "البنان" ، قبل أكثر من خمسين عاماً، وكان القصد منه -كما بدا- الوقوف أمام الإلحاد والشيوعيَّة ، باسم الإيمان بالله .

ثمّ عُقِد مؤتمرٌ في"قرطبة" عام ١٣٩٧هـ، وظهر للنَّاس أنَّ القصد منه إعلان هدنة من الإسلام للنصرانيَّة ، تُحبس فيها الأقلام ، وتُكمَّم الأفواه التي تُنادي بالإسلام كدين عالميّ للنَّاس كافَّة ، أو تلك التي تردّ على الشبهات المثارة ضدّ الإسلام وحملته الأوَّلين .

ثمّ انعقد مؤتمر آخر في "شيكاغو" سنة ١٩٩٣م .

وتلاه في "كيب تاون" بجنوب أفريقيا في ديسمبر عام ١٩٩٩م مؤتمرٌ حضره أكثر من سبعة آلاف شخص يُمثِّلون كلّ أديان العالم وطوائفه الروحيَّة[١] .

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٧٦٨١ ، ص ٤ .

ثـمّ عُقِـدَ في الأمـم المتحدة مـا سُـمِّي بـ"مؤتمـر الأديـان" ، وذلك قبل القمـة الألفـيَّة التي جمعت زعماء العالم ، وانتهى المؤتمر بتوقيع زعماء العالم الدينيِّين على أنَّ كلَّ الأديان سواء[1] .

ثـمّ توالـت المؤتمـرات والاجتماعات، وجلّها ركَّز على غزو المسلمين فكـريًّا ، وإلقـاء الشبهات ، والتشـكيك في الديـن ، واستثارة المرأة لـتترك الصف الإسلاميّ إلى صفّ أعدائه :

فهـذا مؤتمـر المرأة العـالميّ الـذي عُقِـدَ في "نيروبـي" عاصـمة "كينيا" ، وحضـره أكـثر مـن ستة آلاف شخص ، من بينهـم مندوبون من مائة وسبع وخمسين دولـة ، ومـن سـت وخمسين هيـئة خاصَّـة تابعـة للأمـم المتحدة، وركَّز على جملة من القضايا، منها: تحقيق المزيد من المساواة بين الجنسين ، وضـرورة مشـاركة المرأة في تنمية الوطن وصـيانة السِّلم العـالمي قبل عام ٢٠٠٠م ، ونحـو ذلـك مـن القضـايا الـتي أراد المؤتمـر مـن المـرأة –سـيّما المسلمة– العمل على تحقيقها .

وتـلاه مؤتمر المرأة العـالمي في "بكِّين" ، والذي عُقِدَ في الفترة من ٤– ١٥سبتمبر عـام ١٩٩٥م ، وخـرج علينا بجملة من القرارات التي سعى لها أعـداء الإسـلام قديماً وحديثاً ، بغرض سلخ المجتمعات الإسلاميَّة من دينها لتنصيرها ، وطمـس هويّتها، وتمييـع شخصـيّتها، وجعـلها تابعـة ممسـوخة تسير في فلك أعدائها. وكشف المؤتمر عن خبث نواياه ، حين شجَّع على

---

(١) انظر مجلة "البيان" ، العدد ١٥٦ ، ص ١٢٧ .

إقامة علاقات جنسيَّة غير شرعيَّة -"الزنا"-، وأقرَّ الحمل من غير زوج ، وربط الجهلَ بالزواج المبكِّر[1] .

وتلاه مؤتمر "مائة عام على تحرير المرأة العربية" ، والذي عقده المجلس الأعلى للثقافة في مصر من ٢٣-٢٨/١٠/١٩٩٩م ، بمناسبة مرور مائة عام على صدور كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين . وقد طالب كثيرٌ من الحاضرين بإبعاد الدين وتنحية الشريعة الإسلاميَّة وتعطيلها ، وإلغاء قوامة الرجل ، وعدّة المرأة، وتعدُّد الزوجات، ومبدأ حظّ الذكر مثل حظّ الأنثيين، وحدّ الزنا، والنشوز، والطلاق بسبب فقدان البكارة، وإذن الزوج للمرأة بالعمل خارج بيتها أو السفر ، وغير ذلك . كما هاجم الكثير منهم الحجاب واعتبروه عادات اجتماعيَّة قديمة ، ودعوا إلى الاختلاط في التعليم ، وإعطاء دورٍ أكبر للمرأة .

وعند التأمُّل في أساليب الطرح والمناقشة ، وفي أبعاد المطالب ، نجد ((أنَّ هذه المطالب لا تُعبِّر عن الأشخاص المطالِبين بها، وإنَّما تُعبِّر عن أهداف وأغراض مؤتمرات المرأة العالمية ، وبالأخص "مؤتمر بكين" ، تلك المؤتمرات التي تخدم أهداف أعداء ديننا وأمَّتنا))[2] .

---

(١) انظر ملخّص وثيقة بكين ، للأستاذة سهيلة زين العابدين حمَّاد ، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ٢/٩٥-٩٨ .

(٢) مؤتمر مائة عام على تحرير المرأة العربية : رؤية إسلاميَّة ، للأستاذة سهيلة زين العابدين حمَّاد، ضمن بحثها : المرأة المسلمة أمام تحديات العولمة ، والمنشور ضمن أبحاث المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ٢/١٠١ .

ثمّ عُقِدَ مؤتمر "المرأة ٢٠٠٠"، في مقرّ الأمم المتحدة بـ"نيويورك"، وطرحت فيه العديد من القضايا التي تُخالف الأديان والفطر السوية ؛ مثل "حقوق الشواذّ"، و"إمكان إجراء عمليّات إجهاض بشكل رسميّ"، و"الحقوق الجنسيَّة للمرأة"، و"تغيير قوانين الميراث"، ونحو ذلك ، وأراد المؤتمرون إقرارها، لكنّ رفض الدول الإسلاميَّة -الحاضرة للمؤتمر(١)- لها، حال دون ذلك(٢) ، فلم ينجح هذا المؤتمر ، ولم تتحقَّق أهدافه ، بفضل الله ، ثمّ بسبب اضطلاع الدول الإسلاميَّة الحاضرة بمسؤوليَّة مواجهة زحف الرذيلة والشذوذ .

وعَقْدُ هذا المؤتمر وأشباهه ، محاولةٌ من أعداء الإسلام لهدم البيت المسلم حقداً عليه، ونقلاً لعدوى التمزُّق من مجتمعهم إلى المجتمع المسلم، فتراهم يُثيرون العديدَ من الشبهات معتمدين في إثارتها على بريق خادع ، يخلب عقول النساء اللواتي لم يعرفن الإسلام معرفة تامَّة، كي يجد ذلك صدى في عقولهنّ، فيعملن على تحقيق مآرب أعداء الإسلام في المجتمع الإسلامي.

والمتابع لأكثر المؤتمرات الدوليَّة ، يجدها تُركِّز على المرأة.

ومن أبرز القضايا التي يُثيرها أعداء الإسلام من خلالها : قضيَّة السفور والحجاب ؛ حيث يربطون السفور بالتقدُّم والمدنية ، والحجابَ بالتخلُّف والرجعيَّة .

---

(١) وهي السعوديّة ، ومصر ، والجزائر ، والسودان ، وباكستان ، وليبيا ، وإيران .

(٢) انظر التقرير الذي أعدّته مجلة "المجتمع" حول هذا المؤتمر ، في عددها رقم ١٤٠٥ ، ص ٣٤-٣٥ .

وتتعالى دعوات أعداء الإسلام ، ومن تربَّوْا في أحضانهم للمرأة أن تمزِّق الحجاب ، وتتخلَّى عنه ، كي يتسنَّى لها السيرُ في طريق التقدُّم ، وكي تلحق بركب المدنيَّة .

وتحت ما يُسمَّى ببريق المساواة بين الرجل والمرأة، يدلف أعداء الإسلام إلى عقل المسلمة،ويُروِّجون لفكرتهم في نبذ التفرقة بينها وبين الرجل في سائر الأمور حتَّى ما يمسّ القوامة منها ، والطلاق ، والميراث ، وغيره .

وتتعالى صيحاتهم مطالبين المرأة بالثورة على أوضاعها، ونبذ التعاليم الإلهيَّة.

وتحت وَهْمِ الإنتاج ، والعَزْفِ على وَتَر "الاقتصاد عصب الحياة"، و"المرأة نصف المجتمع"، يَنْصِبُ هؤلاء المبطلون للمرأة شباكَهم ؛ تلك الشباك التي لم تُلقَ للمرأة فقط، بل نُصبت للرجل معها كي تَسْهل مهمَّة الإفساد . فمن ذا الذي لا يروقه تحسين معيشته ؟!

وتحت هذا الوهم يزجُّون بالمرأة في ساحات العمل ؛ ما واءمها منه وما لا يُوائمها، وما يُناسب طبيعتها ، وما لا يُناسب ، وما يحتاجه مجتمعها المسلم وما لا يحتاج . بل لقد تفنَّنوا في إيجاد أعمال لا تليق بها بحال ، متغافلين عن اختلاف تركيبها الجسديّ عن الرجل اختلافاً كبيراً؛ إذ كلُّ خليَّة من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها، وكذا الأمر بالنسبة لأعضائها، وفوق ذلك جهازها العصبيّ.

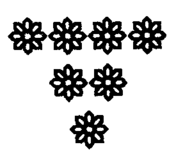
وهـذا وغـيره من ألوان الشبهات التي يُثيرها أعداء الإسلام حول المرأة ودورهـا ، ويُـريدون مـن خلالهـا غـزوَ الإسـلام، مِمَّا يتهافـتُ أمـام الحجَّـة والـبرهان . ومـا سـاعد عـلى انتشـار هـذا الغثيان ، إلا جهل الكثيرات من المسلمات بدينهنّ .

فإلى الله المشتكى ..

وبنهاية الحديث عن هذه الثغرة ، أكون قد ألقيت الضوءَ على جملةٍ من الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكري إلى مجتمعات المسلمين .

وبجوار هذا الداء لا بُدَّ من ذكر الدواء ، وهو ما سأُبيّنه في الفصل الثاني بإذن الله تعالى ، حين الحديث عن سبل تلافي هذه الثغرات .

فالله المستعان ، وعليه التكلان ، في بيان سبل تلافي تلك الثغرات .



الفَصْلُ الثَّاني

سُبُلُ تلافي الغزو الفكريّ المتسلّل من خلال تلك الثغرات

إنَّ أمواج الحضارة الغربيَّة بزبدها المستقذر الطافي ، تزداد هجوماً وإطباقاً علينا، وسوادُ النَّاس في مجتمعاتنا يزدادون استسلاماً لها، وانجرافاً في تيَّارها، دون أن يُصغي أحدٌ منهم إلى صيحات التحذير، أوينتظر مشاريع الاصطفاء والانتقاء.

فهل من سبيلٍ إلى مُرْتقى ، أو حصنٍ يعصمنا من الغرق الذي بات وشيكاً، ويُنجدنا بما نردّ به عنَّا عاديةَ هذا الطوفان ؟

والجواب : نعم ، ثمَّة سُبل ، ولكنْ علينا أن نعلم قبل أن نسلكها أنَّ ما قد يكون على أفواه هذه السبل أو في ثناياها من عقبات ، فإنَّما هو من صنعنا ، أو بسببنا نحن . وهذا يعني أنَّ تعبيد هذه السُّبُل وتنظيفَها يعود إلينا لا إلى غيرنا . ويجب أن نلفت النظر قبل كلِّ شيء إلى أنَّ معالجة السير على هذه السبُل إنَّما هو بحدِّ ذاته عملٌ جماعيٌّ، يجب أن يلتقي عليه سوادُ هذه الأمَّة وغالبيتُها العُظمى، على أن يكون في مقدِّمتها: قادتُها وحُكَّامُها.فلا ريب أنَّ الجهودَ الفرديَّة المتناثرة قلَّتْ أو كثُرَت لا بُدَّ أن تتبدَّد وتذهب أدراج الرِّياح .

وقد تقدَّم الحديثُ عن عددٍ من الثغرات التي يتسلَّل منها الغزو الفكريّ إلى بلاد المسلمين . ولأنَّنا لسنا بمعزلٍ عن هذا العالَم الذي نعيش فيه ، فقد لَحِقَ بأكثر فئات مجتمعنا الإسلاميّ من هذا الغزو الضرر المباشر ، بل لقد استشرى هذا الداء وصار حقيقةً ماثلةً للعيان تفرِض نفسَها في أكثر المجتمعات الإسلاميَّة،

وتُؤكِّد خطورتها على النشء يوماً بعد يوم ، مِمَّا لا يجعلنا في موقع الخيار ، بل يُحفِّزنا لمواجهته ، ويشحذ هممنا للمحافظة على ديننا الذي هو مصدرُ عزّتنا وعصمة أمرنا ، وللإبقاء على مكتسباتنا وموروثاتنا وعاداتنا وتقاليدنا الحميدة .

ومواجهة الغزو الفكريّ لا تعني بالضرورة : الرفضَ لحضارة الغرب جملةً وتفصيلاً، أو الدعوةَ إلى الانغلاق والانكفاء على الذات، أو الانعزاليَّة و الرغبة في التقوقع بعيداً عن منجزات الثقافات والحضارات الأُخرى .

وقد قالوا قديماً: "درهمُ وقاية خيرٌ من قنطار علاج". وهذا صحيحٌ بلا شكّ؛ إذ التحصُّن من أسباب المرض، ومحاصرة دوافعه، أجدى وأنفع أثراً في تلافيه .

لكنَّنا سنسلك خُطُوات نجمع فيها بين الوقاية من أخطار الغزو الفكري ، ومعالجة انحراف شبابنا وجنوح ناشئتنا ، وانغماس كثيرٍ من شرائح مجتمعنا في مستنقع الغزو الآسن، مع الانفتاح الواعي والمدروس على ثقافات الآخرين :

فالحقُّ مقبولٌ ولو من جاهلِ　　　فاظفَرْ بذاتِ القولِ لا بالقائلِ

وهذه الخُطوات التي يتكوَّن منها السير إلى تلافي هذه الثغرات وسدِّها يُمكن أن تُجملَ في المباحث التالية :

المبحث الأول : التربية الإيمانيَّة الصحيحة .

المبحث الثاني : غرس الوعي الديني والثقافي .

المبحث الثالث : الحدّ من سفر الشباب إلى البلاد الأجنبيَّة .

المبحث الرابع : الرقابة على الإعلام ، والتحكُّم في وسائله .

المبحث الخامس : استقدام العمالة المسلمة ، ودعوة غير المسلمين .

المبحث السادس : تيسير أمور الزواج .

على نسبةٍ كبيرةٍ من مشاهد العنف والإثارة التي لا تُناسب الواقع العربي"[1] .

وهي محاولات طيِّبة مشكورة، نرجو أن ترى النور قريباً، لتأخذ دورها في إنشاء جيل يحمل الهويَّة الإسلاميَّة قولاً وعملاً واعتقاداً، وما ذلك على الله بعزيز.

المطلب الرابع : الإعلام الإسلاميّ والبرامج الترفيهيَّة

مِمَّا لا شكّ فيه أنَّ القلوب تحتاج إلى ساعات من الترويح .

والإسلام الذي شرعه الله ﷻ لخلقه ، وارتضاه دينًا لهم ، جاء ليعنى بكل شؤونهم ، ويُعالج كلَّ أمورهم؛ في جدّهم ونصبهم،وفي ساعات الترويح وأوقات التخفيف عن أنفسهم، من أجل المزيد من العمل المثمر ، والمضي قُدُماً نحو تحقيق الغاية التي وُجدوا من أجلها : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذريات: ٥٦] .

ويُستأنس في ذلك بقول رسولنا ﷺ لحنظلة الأُسَيدِيّ لَمَّا شكا له تغيُّرَ حال قلبه عند مباشرة أعمال الدنيا، والاشتغال بالمعيشة، عن حاله عند تذكير الرسول ﷺ له بالجنَّة، وتخويفه من النَّار:"يا حنظلة! ساعةً، وساعةً، ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر، لصافحتكم الملائكة، حتَّى تُسلِّم عليكم في الطُّرُق"[2] .

---

(١) انظر الدورية نفسها ، ص ٥٩ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح ، كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا .

فمن الساعات ما يكون عبادةً لله ﷻ ، يُناجي المرءُ فيها ربَّه ، ومنها ساعة يُحاسب العبدُ فيها نفسَه ، ومنها ما يكون خلوةً بالأصحاب يُخبرونه بعيوبه ويُحدِّثونه عن ذات نفسه ، ومنها ما يكون خلوةً باللَّذَّة الحلال . وهذه الساعةُ الأخيرة تكون عوناً على تلك الساعات .

ومن المؤسف أنَّ الترويح قد اختلط أمره فهماً ومأخذاً عند الكثيرين -ولا سيّما من بيدهم أمر وسائل الترويح العديدة والمختلفة- ، فظنُّوه رخصةً تُبيح لهم التحلُّل من كلِّ القيم تحت شعار : "الفنّ من أجل الفنّ" .

وليس الأمر كذلك ، بل لا بُدّ أن يكون الترويح عن النفس ضمن حدود المشروع ؛ ترويحاً يرتفع عن حكايات الحبّ واللقاء ، أو الغرام والفراق، وينأى عن دنيا الجنس الرخيصة ؛ ترويحاً له شروطه وضوابطه ، وفي مقدمتها: أن يتفق مع أصالة هذا الدين، وأن يلتقي مع الفطرة والحياء، وأن ينسجم مع الفضائل والقيم ، وأن تتوافر فيه صفة السموّ والعفاف .

وكثيرةٌ هي ((القِيَم التي باستطاعة وسائل الإعلام إن أُحسن استخدامها أن تُحيلها إلى مشاهد ومواقف ومقاطع ، تنبض بالحركة ، وتفيض بالحيويَّة ، وتنطق بالصدق ، فتشدّ الفكر ، وتوقظ الوجدان ، وتسمو بالروح . وستكون النتيجة الطبيعيَّة تأثُّراً يعقبه انقيادٌ يُثمر تمثُّلاً وتطبُّعاً يستجيبان لدواعي الفطرة وبواعث الإيمان))[١] .

---

(١) الدور التربويّ لوسائل الإعلام إيجاداً وتعميقاً ، لحسن فضل المولى دفع الله ، مقال في مجلة "الأمّة" ، العدد السادس والخمسون ، ص ٢٧ .

إنَّ المشكلة الحقيقيَّة أنَّ المادَّة الترفيهيَّة -بما تحمله من مفاسد- قد اتسعت في إعلامنا حتى طغت على الجوانب الأُخرى، في ظلِّ إقبالٍ جماهيريّ مبعثه الفراغ والجري غير الواعي وراء الأهواء والغرائز . وقد أدَّى هذا الإقبال الأعمى إلى تعلُّقٍ وافتتانٍ شديدين بكلّ ما هو غثٌّ هازل، وضعيف ساقط ، صَاحَبَهُ صدودٌ وإعراضٌ عن كلِّ ما هو جادّ وهادف .

وهذا يستدعي منَّا أن نُعيدَ النَّظر في المادَّة الترفيهيَّة التي تُبثّ إلينا في الوقت الراهن ، وأن نُحاول ترشيدها . وإنَّ ((أية محاولةٍ للترشيد لا بُدَّ أن تبدأ من العزم على محاصرة البرامج الترفيهيَّة بوضعها الراهن ، وإعطائها الحيِّز المناسب ، ليكون الهدف هو نوعيَّة ما يبثّه لا كمّيته .... هذا من ناحية ، ومن ناحيةٍ أُخرى فإنَّ التعامل مع المادَّة الترفيهيَّة التي تُمليها الضرورة، ويفرضها العصر، ويرتضيها الطبع السليم، يقتضينا أن نُحيطها بقناعات مؤكّدة في الحسّ، مركوزة في الفطر وهي أنَّنا ننتسب إلى أُمَّة ليس في قواميسها أنَّ "الفنّ للفنّ" وأنَّ الترفيه لمجرّد التسلية وانتزاع الضحك وتمضية الوقت ، وإنَّما هي ممارسات ترتبط بمُثُل عُليا ، قوامها : الالتزام والقصد))[1] .

فإذا كانت المادَّة الترفيهيَّة تتصيَّد عصفورَين بحجرٍ واحدٍ ؛ تُرفِّه عن الجمهور، وفي الوقت نفسه تُربِّيهم وتُوجِّههم نحو عبادة الله ، وإخلاص

---

(١) المقال السابق ، ص ٢٨ .

الوجه والقصد له ، والتقيُّد بأوامره ونواهيه ، والالتزام بالقِيَم والأخلاق الإسلاميَّة .. حينها نقول : مرحباً بالترويح وبوسائله. ونُطالب بإنشاء المزيد من القنوات الترفيهيَّة الصالحة التي تسدّ مسدّ القنوات الفاسدة .

ومثل هذا الترفيه يُطلق عليه اسم "الترفيه الموجِّه" ، وهو : استغلال رغبة النَّاس في قضاء وقتٍ طيِّبٍ ، لتقديم مبادئ أو اتجاهات مرغوبة داخلة في المادة الترفيهيَّة .

وهذا الترفيه يُسهم في بيان القِيَم الإسلاميَّة والمُثُل العُليا في شكل برامج تطبيقيَّة مقبولةٍ من جمهور النَّاس ، تُعيد نشر طريق الاهتداء العمليّ أمام الأمَّة ، وتُفصِّل خُطوات السير فيه تفصيلاً .

المطلب الخامس : تسخير "الإنترنت" للدعوة إلى الله ﷻ

لقد انتشرت الشبكة العالميَّة للمعلومات "الإنترنت" انتشاراً كبيراً في عصرنا الحاضر، فوصلت إلى مئات الملايين من البشر[1] ، على اختلاف مراتبهم ومشاربهم وأديانهم ، واستُعْمِلت في نشر الباطل على اختلاف صوره ، وفي تشويه الإسلام من قبل جملةٍ من الفرق المنتسبة إليه ، وفي الهجوم على الإسلام من قبل أعدائه .

وقد ثار جدلٌ كبيرٌ حول استخدام شبكة "الإنترنت"، فمن العلماء من أفتى بتحريم استخدامها درءاً للمفاسد ، وسدًّا للذرائع ، ومنهم من أجاز استخدامها بحدود وضوابط .

---

(١) وصل عدد المشاركين في شبكة "الإنترنت" إلى أكثر من ٤٥٠ مليوناً .

ولَمَّا كان تبليغ الدعوة إلى النَّاس مِمَّا أخذ الله ﷻ عليه الميثاق من أهل العلم ، فإنَّ إيصال هذا الدين الحقّ إلى مشارق الأرض ومغاربها بواسطة هذه الشبكة أمرٌ مطلوبٌ ، وهو من أعمال البرّ والخير ، والمنفِقُ عليه مأجورٌ .

يقول فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان : ((ولذا نرى أنَّه يُشرع الدخول فيها، والدعوة إلى الله تعالى ودينه من خلالها ، وأن يُشارك فيها كلّ من يستطيع ذلك، لكن مع مراعاة الضوابط الشرعيَّة العامَّة للدعوة ؛ فيُخصّص مكاناً خاصًّا وقناةً خاصَّة للدعوة الإسلاميَّة والمسلمين ، لا يختلط فيها الباطل المحرَّم كالصور العارية والمشاهد اللاأخلاقيَّة والموسيقى ... وأن يتولَّى الردَّ على الشبهات التي تُطرح للنقاش من قِبَلِ غير المسلمين أو الفرق الضالَّة أهلُ العلم المختصُّون ... وأن يُخاطب النَّاس بقدر عقولهم ومكانتهم ؛ لأنَّ الدعوة موجَّهةٌ لأصناف شتَّى من النَّاس ، ولنا في سيرة النبيّ ﷺ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أحسن الأمثلة وأقوم الطرق))[1] .

ويقول الدكتور يوسف القرضاويّ : ((ولذا نرى أنَّه يُشرع استخدام هذه الشبكة والدخول فيها ، فالإنترنت شأنها شأن القنوات الفضائيَّة في أنَّها وسائل، والوسائل لا يُقال فيها حلال ولا حرام ، إنَّما حلّها وحرمتها

---

(١) **الشباب والانفتاح العالمي ، للدكتور صالح السدلان ، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ٢/٤١٦ .**

بالنسبة لما تُستخدم له. فهي ليست لها أحكاماً في ذاتها، إنَّما حُكمها يأتي بحسب مقاصدها ؛ فقد يُستخدم في الفضائح الجنسيَّة ، وتشويه المبادئ والمعتقدات الصحيحة ، وقد يُستخدم في الدفاع عن الإسلام . وإنَّ الذين حرَّموه إنَّما حرَّموه خشية أن يُستخدم في الإباحيَّة ونشر الفساد. وإذا نظرنا إلى المصالح والمفاسد ، نجد أنَّه من الممكن أن يُقدِّم مصالح كبيرة . فنحن نستخدم الخير الذي فيه ، ونتجنَّب ما فيه من مفاسد))[1] .

فاستخدام "الإنترنت" في وقتنا الحاضر من الأمور المطلوبة ؛ إذ هي عالَمٌ مليءٌ بالفوائد .

لكنْ لَمَّا كانت لا تُحدّها حدود جغرافيَّة، ولا تمنعها قرارات سياسيَّة ، ولا تحكمها قوانين واضحة ؛ إذ هي بحرٌ خضمٌ من المعلومات الغزيرة المتدفقة ، التي يُمكن أن يكون بعضها إباحيًا ، ولو أردنا حجبه لَما تمكنَّا من ذلك بسبب ملايين المواقع التي تضمّ مليارات الصفحات، ونسبةٌ كبيرةٌ منها "مُشَفَّرةٌ" لإخفاء محتوياتها الحقيقيَّة ، بحيث تستحيل رقابتها .

ومع تصاعد المخاوف من خطر المواقع الإباحيَّة على الشباب خاصَّة، بدأت بعض الشركات في توفير خدمة "إنترنت" نظيفة ، خالية من المواقع الإباحيَّة ، وأشهرها شركة مصريَّة خاصَّة تُسمَّى " Pure.Net" ، وفَّرت خدمة خالية من المواقع الإباحيَّة، من خلال حصر هذه المواقع ، ومنع الدخول إليها[2].

وليست الجهود التي تبذلها "مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية" في

---

(١) نقلاً عن الإسلام والإنترنت ، لأحمد جوهر أحمد ، ص ١٦-١٧ .

(٢) نقلاً عن مقال عن "الإنترنت" ، نشرته مجلة "الأسرة" في العدد ١١١ ، ص ١٨ .

حجب المواقع الضارَّة بغائبةٍ عنَّا ، بل هي جهودٌ ملموسةٌ مشكورةٌ . لكنْ كلَّما حجبت هذه المؤسّسة المباركة موقعاً من المواقع الفاسدة التي يصعب حصرها ، ظهر مكانه آلاف المواقع . وكلَّما تنبَّهت هذه المؤسّسة إلى موقع هدَّام ، غاب ليظهر في شكلٍ وعنوانٍ آخر؛ فكثيرٌ من المواقع الهدَّامة تُغيِّر عناوينها باستمرار. فكيف يفعلُ بانٍ واحدٍ إذا كان وراءه ألف هادم؟!

ولقد كشفت هذه التجربة -تجربة حجب المواقع الضارَّة- عن صعوبات جمَّة في منع المواقع المختلفة لأسباب فنيَّة في المقام الأوَّل ، ولتحايل البعض على هذا المنع ؛ فالمعروف أنَّ شركات توفير خدمة المواقع الإباحيَّة تُنتِج مئات المواقع شهريًّا، وتُغيِّر أسماء مواقعها باستمرار ، كما أنَّ الكثير منها لا يتخذ اسماً وعنواناً إباحيًّا يسهل منعه . بل إنَّ بعضها يسطو على مواقع محترمة ذات شهرة ؛ مثل مواقع النوادي،والاتحادات الرياضيَّة، ويُحوِّل هذه المواقع إلى خدمة إباحيَّة .

يروي أحد الإخوة من مستخدمي "الإنترنت" في الدعوة إلى الله ، أنَّه سعى يوماً لإقناع زميلٍ له في العمل بالدخول على موقع إسلاميّ، يُقدِّم خدمات قرآنيَّة وتلاوات، وأعطاه العنوان، فجاءه بعد قليل ووجهه يعلوه الخجل ، وقال : إنَّ عنوان الموقع غيرُ صحيح. فتصوَّر أنَّه أخطأ في كتابة اسم الموقع، وتدخَّل ليكتبه بنفسه على جهاز الحاسب الخاصّ به ، ففوجئ بظهور موقع آخر إباحيّ ، فيه صور عارية ، ودعوة مكشوفة إلى الرذيلة ، وتبيَّن له فيما بعد أنَّه تمّ السطو على هذا الموقع لفترة ، لصالح موقع جنسيّ إباحيّ"[1] .

---

(١) من مقال عن "الإنترنت" ، نشرته مجلة "الأسرة" ، العدد ١١١، ص ١٨ .

فلا يُمكن لمستخدم "الإنترنت" أن يضمن سلامة الموقع الذي سيدخل إليه.

لذلك كان الحلُّ العمليُّ هو التحصينُ الأخلاقيُّ ، والتوعيةُ الثقافيَّةُ .

ولذلك طلبنا منه أن يتحلَّى بتقوى الله ﷻ، وأن يكون على مستوى جيِّد من الثقافة الدينيَّة ، وأن يُدرك أنَّ لديه ثوابت إسلاميَّة، وموروثات حضاريَّة وتاريخيَّة لا تُمَسّ ، ولا يُمكن تبديلها أو تغييرها بموروثات غريبة لا تمت إلى ثوابته الإسلاميَّة بصلة .

ولا يعني وجود المخاطر في "الإنترنت" أن نُقابلها بالرفض الباتّ والمقاطعة الصارمة ، وعلينا ألا نُهْمِلَ دور هذه الوسيلة العالميَّة في نشر ديننا العالَميّ .

وثمَّة طرائق متعدِّدة للدعوة إلى الله ﷻ ، ونشر الإسلام عبر "الإنترنت" ، وهي في تطوُّرٍ مستمرّ .

ومن ذلك : إنشاء موقعٍ إسلاميّ للدعوة إلى الله ، والتعريف بالأحكام الشرعيَّة ، والتعامل مع قضايا الشباب بوعي ، بحيث تأخذ بيده بعيداً عن تقاليع وتقاليد الحضارة الغربيَّة؛ في الموسيقى، والرقص، والزيّ، والأفكار، والتصوّرات، عبر حركةٍ دعويَّة لا تتوقَّف ، تربط الشباب بقضايا دينه وأمته وتاريخه ، بعيداً عن الانسحاق أمام موجات التغريب والإباحيَّة ، سيّما وأنَّ أداة الغزو هذه –"الإنترنت"– مليئة بهذه الموجات والمواقع الإباحيَّة بصورة كبيرة جدًّا(١) .

---

(١) انظر الشباب والإنترنت ، لأحمد جوهر أحمد ، ص ٦٥ .

ومنها : الحوار مع الآخرين عبر هذه الشبكة، ودعوتهم إلى هذا الدين إن لم يكونوا من أهله، وإزاحة الشبهات عن عقولهم، والردّ على الكثيرمن التساؤلات التي تجول في خواطرهم إن كانوا من المسلمين .

أمَّا عن أبرز الشبهات التي ينبغي على الدعاة التصدِّي لها والردّ عليها، فيذكر فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان منها[1] :

١- الردّ على الشبهات المثارة حول القرآن الكريم ومصداقيّته .

٢- الردّ على الشبهات المثارة حول شخصيَّة رسول الله ﷺ .

٣- الردّ على الشبهات المثارة حول الجهاد في الإسلام .

٤- بيان موقف الإسلام من حقوق الإنسان .

٥- التركيز على إيضاح موقف الإسلام من المرأة وحقوقها .

وأحبُّ أن أُنَوِّه بعددٍ من المواقع الإسلاميَّة الرائدة التي تلعب دوراً كبيراً في نشر العلم الشرعيّ الصحيح ، والعقيدة الإسلاميَّة السليمة ، وتردّ على العديد من الشبهات المثارة ، وهي مواقع خاصَّة بمشايخ فضلاء ، على رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح المنجد حفظه الله ، وغيرهم . ولا نغفل الإشارة إلى الدور الجيِّد الذي تقوم به بعض المواقع الإسلاميَّة الشاملة، التي تُقدِّم الثقافة الإسلاميَّة ، والمكتبة الإسلاميَّة ، والمنتديات ، والروابط المتخصّصة. جزى الله القائمين عليها خير الجزاء .

---

(١) انظر الشباب والانفتاح العالمي للسدلان ، ٢/٤١٨-٤١٩ .

المبحث الخامس : استقدام العمالة المسلمة ، ودعوة غير المسلمين

كثيرٌ من النَّاس يحتاج إلى استقدام خادم أو مربيةٍ أو سائق ، أو عامل نتيجة لظروف معيَّنة .

ولكنَّ المشكلة تكمن في كونه يُريد أن تكون هذه العمالة غيرَ مسلمة؛ نصرانيَّة مثلاً . ويزعم أنَّ أكثر العمالة غير المسلمة تؤدِّي عملها باتقان يفوق أداء العمالة المسلمة .

والحقيقة أنَّ أكثر المربيات –غير المسلمات– متمكِّنات من التحدُّث بطلاقة بلغة الدولة الموفدة إليها، مثقّفات إلى أبعد الحدود، متعصِّبات لعقيدتهنّ ودينهنّ، عاملات على نشره بإخلاص كاملٍ ، وتفانٍ لا حدود له . وعند مقارنة حال هؤلاء بحال المربيات المسلمات، نجد أكثرهنّ أُميَّات، جاهلات بأساليب التربية،وليس لديهنّ أدنى مستوى من الثقافة،فضلاً عن الثقافة الإسلاميَّة.

لذلك لا نعجب حين نرى الكثير يُمجِّد الخادمات والمربيات النصرانيَّات، ويصفهنّ بأنَّهنّ صاحبات نظافة، أو صاحبات صدقٍ وأمانة.

والحامل لهؤلاء على الإشادة بهؤلاء النّصارى أحد أمور :

إمَّا الانقياد لِما يقوله المجموع وظنّهم أنّه الصواب؛ فما يقبلونه هو الحقّ، وما يرفضونه هو الباطل ؛ فيشيدون بالنصارى، ويُصيبون أنفسهم دون أن يشعروا.

وإمَّا اتّصاف بعض الخدم المسلمين فعلاً بالتقصير،أو أنَّهم لم ينالوا رضا الأسر التي عملوا عندها ؛ فقد تكون الأسرة غير مهتمَّة بأمر النظافة ،

فتسير الخادمة على نهجها . أو تظنّ الأسرة أنَّ الخادمة التي جاءتها تحمل شهادة "دكتوراة" في تنظيف وتنسيق المنزل، فتتركها على سجيّتها دون إرشاد أو توجيه ، وينتهي الأمر إلى فشل الخادمة في إرضاء الأسرة ، ويُؤدِّي ذلك إلى اتّهامها بالتقصير .

أو أن تكون الظروف وواقع أكثر المسلمين سبباً في ذلك، وهذا -كما يعلم الجميع- من تخطيط الأعداء الذين سلبوا المسلمين حين استعمروهم خيراتهم ، وكرَّسوا فيهم الجهل ، وجرَّدوا أكثرهم من كلِّ قيمه ومبادئه، وتركوهم يُعانون الويل والثبور، في الوقت الذي انصبّ اهتمامهم على النصرانيّ ، وأعدُّوه ليكون شخصيَّة مستحبة مرغوباً فيها في سائر المجالات؛ في المنزل والمكتب والمستشفى والمدرسة وغير ذلك. فالذنب ليس ذنب الإسلام الذي يحضّ على اتقان العمل؛ فعلينا أن لا نخلط بين انحرافات المسلمين وبين نظام الإسلام دين البشريَّة الخاتم .

ولا شكَّ أنَّ استقدام الخادمات والمربيات غير المسلمات، وسائر العمالة غير المسلمة دليلٌ واضح على ما وصلت إليه حال الأمَّة من اغترابٍ عن عقيدتها.

واسمحوا لي أن أهمس في أذن الأسر التي تُفضِّل استعمال غير المسلم على المسلم ، فأقول : حتى وإن كان في الشخص المسلم بعض المساوئ والعيوب ، فلم لا تكون قلوبنا أوسع وصدورنا أرحب نحو إخوتنا المسلمين ، فنُحاول أن نصلح منهم ما فسد ، ونبني منهم ما تهدَّم ، فننال الأجر والمثوبة من الله ﷻ .

إنَّ النصراني وغير المسلم، وإن كان نظيفاً فنظافته ظاهريَّة، وإن كان صادقاً فصدقه ظاهريّ ؛ فكيف يكون نظيفاً وقد امتلأ قلبه بأدران الشرك والضلال؟ وكيف يكون صادقاً وقد جحد الحقّ ﷻ، وأنكر نبوَّة نبيِّنا ﷺ؟

فأين غيرة المسلم على دينه وهو يرى النصرانيّ يرفل بالنعيم معه ، بينما إخوانه المسلمون يُعانون من شظف العيش ؟!

بل أين غيرة المسلم على عقيدة أبنائه وهو يراها تُنهَش على أيدي المربيات أو الخادمات غير المسلمات .

لا بُدَّ حين استقدام المربية أو الخادم أن يُشترط على المكتب المستقدم شروط -وتوضع عليه شروط جزائيَّة إن أخلَّ بها-، أوَّلها أن تكون من بيئة إسلاميَّة خالصة ، متحلية بسمات التقوى والصلاح ، ملتزمة بالإسلام شكلاً ومضموناً . وأن تكون أمينةً، قويَّةً، ماهرة في أداء عملها، حريصةً على مصلحة ربّ عملها.

ثمَّ بعد مجيئها تخضع لفترة تجربة ، لا لمعرفة حُسن خدمتها ، واجتهادها في عملها، بل قبل ذلك لمعرفة صدق إسلامها، وحُسْن تربيتها، وتقواها وصلاحها.

ويأسف المرء حين يرى الكثيرَ من النَّاس قد أساؤوا في اختيار العامل، فتراهم يختارون الماهر في عمله ، والقويّ في تخصّصه ، وينسون أمراً هو أهمّ من ذلك كلّه ، وهو : أن يكون مسلماً .

((فلو أنَّنا لم نستقدم الكفَّار ، وحرصنا على استقدام المسلمين ، خصوصاً من البلدان التي يُوجد فيها مجاعات وأزمات اقتصاديَّة ، أو البلاد التي يُوجد فيها أقليَّات مسلمة مضطهدة، لكان هذا إنقاذاً للملايين المسلمين، وتوفيراً للمال في أيديهم، مِمَّا يحفظ دينهم وأعراضهم، ويكون مصدر قوَّة للمسلمين))[1] .

وإذا لم نجد العمالة المسلمة في تخصُّصات معيَّنة نحتاج إليها، جاز لنا استقدام غير المسلم للعمل ؛ إذ يجوز استقدامه عند الضرورة[2] .

لكنْ علينا ألا نُهمل دعوته إلى الإسلام ، وترغيبه بالمال والهدايا إن هو استجاب ، تأليفاً لقلبه .

وعلينا أن نُعامله معاملةً حسنةً ؛ فنرفِق به ، ونُحدِّد له دوره، ونُحدِّد ساعات عمله ، ونعفو عن إساءته وخطئه ، ولا نُماطل في إعطائه أجرَه .

ومن الملاحظ على بعض الأسر أنَّهم يُعاملون الخادمات والمربيات والسائقين على أنَّهم مخلوقٌ من نوعٍ آخر ، فيُثقلونهم بالإهانات ، وإهدار الكرامة ، ويُوبّخونهم بلا سبب .

وهؤلاء بدلاً من أن يقوموا بدعوتهم إلى الإسلام، أو يُظهروا لهم محاسن الإسلام من خلال أخلاقهم وتعاملهم ، يبدؤونهم بهذا التعامل الفظّ الذي يُنفِّر العمال منهم، ويجعل حاجزاً بينهم وبين الدخول في هذا الدين .

---

(١) الخادمات وأثرهنّ على الأسرة والمجتمع ، للخميِّس ، ص ٨١ .

(٢) انظر عمدة القاري للعيني ، ١٠/٧١ .

ولقد انتشرت ظاهرة ضرب الخدم بشكلٍ يجرح كرامة كلِّ إنسان، ويؤذي مشاعره . وتطوَّرت هذه الظاهرة حتى كادت أن تصبح قضايا دائمة في المحاكم في بعض الدول الإسلاميَّة .

نشرت مجلة "المجتمع" الكويتيَّة عدداً من هذه القضايا التي وقعت في الكويت، ووصلت إلى المحكمة[1] . ومن ذلك : أنّ محكمة الجنايات حكمت على زوجين "مدرّسَين" بالحبس مع الشغل والنفاذ ؛ على الزوج بستة أشهر مع الشغل والنفاذ، وعلى الزوجة بسنة مع الشغل والنفاذ أيضاً، لتعوّدهما ضرب وتعذيب خادمتهما -عمرها ١٤ سنة- بوحشية وغلظة وضراوة ؛ من الضرب بالعصا الغليظة ، إلى الكي بالنَّار ، وبأدوات معدنيَّة ملتهبة .

وحكمت محكمة الجنايات على "مدرِّسة" بالحبس لمدة أربع سنوات مع الشغل والنفاذ ، بسبب ضربها وتعذيبها لخادمتها .

وغير ذلك من القضايا التي يُلاحظ على أغلبها أنَّها حدثت من أشخاص قد نالوا قسطاً من التعليم ، كان جديراً بأن يرفعهم عن هذا المستوى المتدنِّي ، إلى مستوى دعوة هؤلاء الخدم إلى الإسلام ، وإبراز محاسنه أمامهم .

---

(١) انظر مجلة "المجتمع" ، العدد ٢٤٦ ، ص ٥

المبحث السادس : تيسير أمور الزواج

أوَّلاً -وقبل كلِّ شيءٍ- : ليس المجتمع الإسلاميّ مجتمعاً إباحيًّا يجعل الشوارع معارضَ للفتنة ، والتبرُّجَ تقليداً سائداً يستفزّ الغرائز الهاجعة . فديننا يقوم على صيانة الأعراض، وسدّ منافذ الفتنة، وإعانة الجنسين معاً على العفاف والسكينة.

ومسألة الغريزة الجنسيَّة من المسائل التي تتطلَّب مواجهة صريحة؛ لأنَّ النفاق في علاجها ، أو الفرارَ من مَطالبها نوعٌ من العبث .

ولا سبيل إلى علاج هذه المسألة إلا بالعودة إلى منهج سلفنا الصالح المنبثق من الكتاب والسنَّة ، والذي يُسِّرَ من خلاله أمرُ الزواج تيسيراً شاملاً ، وأُزِيلت كلُّ العوائق التي تعترض إتمامه .

فالإسلام يُرضي مطالبَ التجاذب الغريزيّ الطبيعيّ بطريقة الزواج الشرعيّ، الذي يُعتبر أعظم وأرقى الوسائل للجمع بين الحُسْنَيَيْن ؛ بين حفظ العقل وتنمية نشاطه،وبين إرضاء وترويض شهوة الجنس ونزعاتها الشرهة؛ فهو يُيَسِّرُ هذا الطريق ويُمهّده بحيث يُمكن لأيّ شخصٍ أن يُتمَّه بأقلّ وأيسر الوسائل المادِّيَّة والمعنويَّة ، ثمَّ يُحرِّم ما عدا هذه الوسيلة تحريماً باتًّا ، كي يُصان البيت ، وتأمن الأسرة ، ولا يتبدَّد العقل في اللهث وراء المغريات .

والدينُ الذي يجعل تعليمَ القرآن مهراً للمرأة ، لا يُسأل عن التعقيدات التي أحدثها المسلمون في هذه الناحية من حياتهم الاجتماعيَّة .

فلِماذا يُغالي أولياء الأمور في المهور ؟ ألا يُدركون أن صنيعهم هذا يُسهم في بروز مشكلة خطيرة جدًّا ، ألا وهي مشكلةُ تأخّرِ سنِّ الزواجِ ، بل بقاءُ أكثرِ الرجالِ عزّاباً ، وأكثرِ الفتياتِ كذلك ، ومن ثمّ دخولهنّ في سنّ العنوسةِ . وهذا معناه تعطيلُ الزواجِ ، وإيقافُ سنَّةِ اللهِ في الحياةِ .

ولا يخفى على اللبيبِ ما يَنْجُمُ عن ذلك من فسادٍ خلقيّ بين الجنسين الذين يبحثونَ عن بديلٍ للزواجِ إذا أدركوا أن قطارَهُ قد فاتَهُم .

إضافةً إلى كثرةِ المشكلاتِ الاجتماعيَّةِ المتولدةِ عن عدمِ جريانِ الأمورِ بطبيعتها ، ووضعِ الأشياءِ في مواضِعِهَا .

زِدْ على ذلك ما تُخلِّفُهُ من أمراضٍ نفسيَّةٍ لدى الشبابِ من الجنسين، بسبب الكبتِ ، وارتطامِ أفكارِهِمْ بخيبةِ الأملِ .

وربّما أدَّى ذلك إلى خروجِ الأولادِ عن طاعةِ آبائهم وأمّهاتهم ، وتمرّدِهم على العاداتِ والتقاليدِ الكريمةِ الموروثةِ .

فلِماذا لا يتأسّى أولياء الأمور في تخفيف المهور بفعل سلفهم الصالح الذين كانوا يخطبون لابنتهم الشاب الصالح ، مع مساعدته ، والتخفيف عنه رغبة في سعادة ابنتهم ، وديمومة حياتها الزوجيَّة .

ومِمَّا يُحْزِنُ المسلمَ الغيورَ ، أن يقرأ في بعض الصحف الصادرة في بعض البلدان الإسلاميَّة، عن فتيات محجّبات يُعْلِنّ عن رغبتهنّ في الزواج.

وأتساءل : لماذا لا نحفظ لهؤلاء الفتيات حياءهنّ ، ونقوم بإنشاء "صندوق بريد" خاصّ لهذه الطلبات من الجنسين ، وتقوم على ذلك لجنة خاصَّة مِمَّن يُوثَق في دينهم وخُلُقهم وقدرتهم على التصرُّف ؛ يستقبلون

الطلبات ، ويُنسِّقون مع الطرفين ، حتى يحصل المراد ، ثمّ تتابَع هذه الأُسرة الصغيرة ، فيُوفَّر لها البيت البسيط ، مع الفرش المناسب ، والنفقة المؤقتة ، ريثما يقف ربّ الأسرة على قدميه، ويجد العمل المناسب الذي يُمكِّنه من الإنفاق على أُسرته ؛ إذ من المعلوم أنَّ أكثر الشباب في هذه الأيام يتخرَّجون وليس لهم موارد . حتى لو توفَّرت الموارد ، فأكثرهم يجلس سنوات طويلة وهو يُوفِّر المهر ، ويُعدّ للبيت والأثاث .

ثمَّ لماذا لا تَحَلُّ مشاكل الفتيات اللواتي لا يجدن الزوج عن طريق التعدُّد الذي حاربه أعداء الإسلام من منصِّرين ومستشرقين،ونقلوا حربهم خلال عقول بعض من تلقّوا العلم في أوروبا وفي أمريكا ، أو في جامعاتهم المنتشرة في بعض بلاد المسلمين ، حتى صار أكثر النَّاس في المجتمعات المسلمة ينظرون إلى التعدُّد نظرتهم إلى "المنكر" ، في الوقت الذي تحوَّل جزءٌ كبيرٌ من المجتمع لينظر إلى العشق والفساد والزنا نظرتهم إلى "المعروف" . فإلى متى يظلّ المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً في بعض مجتمعاتنا. أما آن لنا أن نطرد هذا الغزو الفكري اللعين، وأن ندفع هذه الحربَ الخسيسة الخبيثة عن مجتمعاتنا !! .

إنِّي لأتكلَّم بهذا الكلام وأعلم يقيناً أنَّ المملكة العربية السعوديَّة قد خطت خطوات رائعة في هذا المجال ، ولكنَّ كلامي ينصبّ على أكثر المجتمعات ، التي صار الزواج فيها عزيزاً ، فعزَّ معه الحلال ، وصارت الفرصة سانحة للحرام ، وعسر على الشاب الزواج ، فبدأ يبحث عن سبل غير مشروعة لإطفاء نار شهوته الجامحة، في ظلّ غزوٍ فكريّ يُحرِّم الحلال، ويُحِلُّ الحرام .

ومِمَّا يُحزِن ، أنَّ أكثر مجتمعاتنا لا تُحارب غلاء المهور، وضخامة تكاليف الأسرة ، في الوقت الذي يُجاهِد فيه الشبابُ وسائلَ الإغراء المختلفة في أجهزة الإعلام والفكر على السواء[1] .

فلا بُدَّ من الإشراف الكامل والمتابعة المستمرَّة من قبل أهل العلم والتجربة -على حدّ قول الشيخ محمَّد الغزالي- ؛ لأنَّ ((التوجيهات النظريَّة هنا لا تسدّ الفراغ القائم ، بل لا بُدَّ من إشرافٍ اجتماعيّ من أهل العلم والتجربة على المجتمع الإسلاميّ الآن ، حتى يُمكن أن تنكسر التقاليد التي تُعسِّر الحلال وتُيسِّر الحرام . والقدوة هنا لها دخلٌ كبير في التغيير الاجتماعيّ))[2] .

وعَوْداً على بدءٍ أقول : لا شكّ أنَّ الزواج الذي شَرَعه الإسلام لشبابه -وهم في سنّ مبكِّرة- هو خيرُ ضامنٍ لصيانة أخلاقهم، وغضِّ أبصارهم، وحفظ فروجهم. وهو من أقوى العوامل الإصلاحيَّة التي تُنقِذُ الشبابَ مِمَّا يُواجههم من تحدِّيات انحلاليَّة ، ومِمَّا يكتنفهم ويُحيط بهم من مفاسد خُلُقيَّة ؛ ذلك لأنَّه يُلبِّي نداء الفطرة ، ويُشبع دوافع الغريزة ، ويجعل الإنسان ذا شخصيَّة فذَّة ، لا تميل مع رياح الفتنة ، ولا تتزعزع أمام تحدِّيات الانحلال .

---

(١) انظر : مشكلات الشباب : الحلول المطروحة ، والحلّ الإسلاميّ ، للدكتور عباس محجوب ، ص ٤٥ . وعقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام ، للدكتور عبد الله علوان ص ٣٩ وما بعدها .

(٢) من تحقيق أعدَّه بدر محمد بدر عن مشكلات الشباب في العالم الإسلامي ، ونشرته مجلة "الأمَّة" ، في عددها الثامن والعشرين ، ص ٥٥ .

نسأل الله أن يُعين القائمين على أمور المسلمين على تيسير هذا السبيل لأبنائهم درءاً لمخطّطات أعدائهم ، وردًّا لسهامهم إلى نحورهم .

وبالانتهاء من هذا المبحث ، أكون قد عرَّجتُ على ذكر بعض السُّبُل التي يُمكن من خلالها تلافي مضارّ الغزو الفكري ، أو التخفيف منها .

وأقول ثانيةً ما قُلتُه سابقاً: لا يُمكن لشخصٍ أو أشخاص معالجة السير على هذه السُّبُل بمفردهم ، والأمرُ يتطلَّب عملاً جماعيًّا تلتقي عليه سواد هذه الأمَّة وغالبيّتها العُظمى، وفي مقدّمتها قادة المسلمين وحكّامهم.

نسأل الله أن يُصلح أحوال المسلمين ، إنه سميعٌ مجيب .

❁❁❁❁
❁❁
❁



الخاتمة وفيها أهمّ النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، وعلى الآل والأصحاب والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد : فهذه مجموعةٌ من النتائج التي جالت في خاطري أثناء كتابة هذا البحث، يُصاحبها عددٌ من التوصيات ، أوجزها فيما يأتي :

أوّلاً : النتائج :

١- إنَّ الإسلام لا يُقرّ السقوط في مهاوي الشهوات والرذائل ، ولا الانقطاع عن الدنيا ، ولكن يُطالب المسلم بالأخذ بكلّ ما أحلَّه الله له على الطريق السويّ والمنهج المعتدل المرسوم .

٢- إنَّ الإسلامَ حاكمٌ على الأمم وعلى المدنيّات ، وليس محكوماً ، ولا مطيَّةً ذلولاً للحضارة الحديثة، ولا خادماً للمجتمعات أو الدعوات والمذاهب، بل هو حاكمٌ على الجميع، له مقوّماته المستقلَّة التي لا تخضع ولا تستسلم .

٣- إنَّ للإسلام أوفى نصيب في المستقبل ؛ لأنَّ الباطل لا يُمكن أن يستمرّ في حكم الدنيا طويلاً ، ولا يُمكن للنَّاس أن يعيشوا بالمادَّة وحدَها ، ولا يُمكن للبشريَّة أن تبقى دون دينٍ صحيح قائمٍ على ثوابت صحيحة لا يأتيها الباطل؛ دينٍ يُحقِّق إنسانيَّة الإنسان بكلّ ما تقتضيه من توازن وشمول .

٤- إنَّ الدعوات ، والدول التي تقوم عليها ، لا تدوم أو تسود عن طريق التمنِّي والمناشدة الصاخبة للنزعات السّلميَّة والاستسلاميَّة ، بل تقوم على الكتاب الذي يهدي ، والعدل الذي يقسط بين النَّاس ، والحديد

الذي يحمي ويردع ؛ يحمي حوزة الدين وأهلَه ، ويردع الكفر وأهلَه :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد:٢٥] .

٥- لقد دخل أعداء الإسلام على كثيرٍ من فلذات أكبادنا باسم العلم والثقافة والتقدّميَّة وهم في بواكير أعمارهم -براعم لم تتفتَّح- ، فسقوهم سمّ الإلحاد ، وصيَّروهم شباباً جاهلين ، يحمل كثيرٌ منهم عقائد الملحدين .

٦- إنَّ الإسلام قد قدَّم لنا كلَّ المفاهيم والقِيَم والتفسيرات لمختلف قضايا الفرد والمجتمع ، دون تزمُّتٍ أو ضيقٍ . فإذا قدَّمت لنا وسائل الإعلام المعادية مفاهيمَ أُخرى مخالفة للفطرة ، أو مناقضة للحقّ، فما أحرانا أن نعرف الحقَّ وأين هو ، ونتمسَّك به ، ولا نتحوَّل عنه تحت تأثير البريق الخاطف ، أو الضوء الساطع ، أو نتيجة التقاء تلك المفاهيم المخالفة ، مع شهواتنا وغرائزنا .

٧- إنَّ معركة المسلمين اليوم هي معركة "تأكيد الذات"، أو"المحافظة على الذات"، أو "حماية الذات" ؛ الذات الإسلاميَّة من التدهور، من الجمود، من المداخلة، من الانصهار في الفكر البشري العالمي"[١] ؛ فالمسلم لم يُخلق ليندفع مع التيَّار أو يساير الركب حيث سار ، بل خُلِق ليوجِّه العالَم ، ويقود البشريَّة .

---

(١) انظر معركة المحافظة على الذات ، للأستاذ أنور الجندي . مقال في مجلة الدعوة السعوديَّة ، العدد ٨٢٠ ، ص ٢٦ .

٨- لقد أثبتت التجارب أنَّ الحضارة الغربيَّة لم تستطع القضاء على ما تُعاني منه البشريَّة؛ من آلام نفسيَّة،أو قلق فكريّ، أو انحدارٍ خُلُقيّ، أو تفكُّك اجتماعيّ، وأنَّ العطاء الماديّ قد فتح الطريق إلى الانتحار، والتمزُّق، والفساد الجامح .

٩- إنَّ الهدف الحقيقيّ وراء مؤامرة "الغزو الفكري" التي تقودها القوى العالميَّة : تذويب المسلمين في الكيان الأممي والعالميّ .

١٠- إنَّ أكثر من استخدم الوسائل الحديثة من المسلمين لم يكن مؤهَّلاً من الناحية الحضاريَّة لتسخيرها لنشر أفكاره وقيمه النابعة من المصدرين الثابتَين ، "القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة" ، وبالتالي فإنَّ استخدامه لهذه الوسائل خدم أغراض أعداء الإسلام أكثر من خدمته للأمَّة الإسلاميَّة ، فأصبح جُلّ همّه التركيز على التوجيه الغريزيّ ، وإشباع الميول الجنسيَّة أو الفوضويَّة ، كما عكس تلك التناقضات الفكريَّة والسّلوكيَّة التي زحفت على العالم الإسلاميّ بتأثير الغزو الفكري .

١١- إنَّ كلِّ مؤامرات "الفكر"، و"الثقافة"، و"التعليم"، وما يُسمَّى"التبادل الثقافي"، و"المنح الدراسيَّة" التي يُنادي بها الغرب تستهدف إزالة الهوية الإسلاميَّة كاملة، وصهر الأجيال الجديدة في بوتقة الفكر الأممي، تحت اسم الثقافة العالميَّة "العولمة".

١٢-لم يكن ولن يكون الدين مانعاً من التقدُّم العلميّ والتقنيّ ، أو حجر عثرة في طريقه . ونظرة فاحصة في تاريخنا ، تجعل الباحث يجزم بأنَّ التمسُّك بالدين من أسباب التقدُّم والرقيّ . ولقد بلغ المسلمون شأواً عظيماً في الحضارة والتقدُّم حين كانوا متمسِّكين بدينهم، متبعين المنهج الربانيّ الذي جاءهم من خالقهم .

١٣- إنَّ بلاد المسلمين لا تحتاج من الغرب إلا إلى شيء واحد هو "التقنية الحديثة" التي يجب أن تُنقل إلى إطار فكرنا، ومقوّمات لغتنا،لتعمل تحت مظلَّة التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف، وفق مفهوم حضارتنا الإسلاميَّة القائمة على العدل والرحمة والتسامح والإنصاف .

١٤- إنَّ التحديث الماديّ والتقني أمرٌ ممكنٌ للعالم الإسلاميّ دون أن يفنى المسلمون في الحضارة الماديَّة أو الفلسفات الإباحيَّة التي يُراد فرضها عليه، والتي يُدَّعى أنَّ التحديث لا يتمّ إلا بها .

١٥- إنَّ الإسلام قدَّم منهج التجريب الذي يعتمد في الوصول إلى الحقائق على استخدام الحواسّ، وهو الذي قامت عليه الحضارة المعاصرة؛ فبالإسلام دخلت البشريَّة ساحة التجريب بعد أن كانت تعيش في عصر التأمُّل الفلسفيّ. وقد قام هذا المنهج على أساس قاعدة أساسيَّة في القرآن الكريم: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[يونس:١٠١] ، ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة : ١١١ ، الأنبياء : ٢٤، النمل:٦٤].

وما على المسلمين إلا مراجعة دينهم، كي تعود إليهم حضارتهم .

ثانياً : التوصيات :

١- يجب أن نُنَشِّئَ شبابَنا في مختلف مظاهر حياتهم على أساس من عقيدة الإسلام ، وعلى مستوى تحدِّيات الغزو الفكريّ في الوقت نفسه ، مع ملاحظة أنّ النظام التربويّ في معظم بلاد المسلمين رثّ غارقٌ في سباته العميق ، لا يُساعد شبابنا إلا على الوقوع فريسةً لمغريات الثقافات الأجنبيَّة ، وطرق الحياة الغربيَّة .

٢- إنَّ مسؤوليَّة أصحاب الأقلام من كبرى المسؤوليَّات والتبعات ؛ من حيث إنَّها ترتبط بمواجهة الأخطار التي توجَّه إلى أمَّتهم . فعليهم أن يُزيحوا الأباطيل والمغالطات التي يبذرها ويغرسها ويدعو إليها أعداء الإسلام ، وأن يُدافعوا عن المبادئ التي جاء بها دينهم الحنيف ، وأكّدتها الآيات المنزَّلة من ربّ العالمين . وعليهم أيضاً أن يُبرهنوا أنَّ الحقائق الإسلاميَّة التي جاءت في الكتاب والسنَّة هي مفاهيم صحيحة ، وأخبار لا تقبل الطعن ، فزيادة على أنّ الوحي الإلهيّ أكَّدها، فإنَّ العلم الحديث يُثبتُها ويؤكّدها ويدحض ما يُخالفها .

٣- يجب على الشاب المسلم أن يكون واعياً لِما يقرأ، فاهماً لِما يسمع أو يُشاهد ، وأن لا يقع تحت إغراء الكتاب ، أو القناة، أو الموقع ، فيخضع له ويُسلِّم بما فيه قبل أن يعرضه على عقيدته وقِيمه المستمدّة من الكتاب والسنَّة . وعليه أيضاً أن يُصحِّح نظرتَه، ويقوِّمَ أفكاره، كي يعرف دينه على بصيرة، ويفقهه عن بيِّنة . ونقطةُ البداية في هذا الفقه المنشود هي :

سلامة المنهج الذي ينبغي أن يسلكَه في فهم الإسلام، كي يتعامل مع نفسه، ومع النَّاس على أساسِه .

٤- إذا تربَّى الشباب على المنهج الإسلاميّ الصحيح ، كما يُريده الإسلام منهم ، وقفوا موقف الحَذِر من كلّ ما تُلقيه إليهم المصادر الوافدة الغربية عنهم وعن دينهم وعقيدتهم، وتذكَّروا أنَّ هدف الأعداء الأول : إبعادهم عن دينهم ، وزعزعة مفهوم التوحيد والولاء في نفوسهم .

٥- على كلِّ شابٍ مسلمٍ أن يُقدِّر المهمَّة التي طُوِّق بها ؛ وهي تعمير الأرض وإصلاحها وتطويعها والاستفادة من جميع إمكاناتها . ولا يتيسَّر ذلك إلا إذا تضاعف الاهتمام بالبحوث العلميَّة على اختلاف أشكالها وأنواعها اهتماماً من شأنه أن يُلبِّي رغبات البشريَّة في السعادة والتقدُّم والهناء .

٦- يجب على العالم الإسلامي أن يُقبل على بناء نفسه بناءً مستمدًّا من مفهوم الإسلام الأصيل الجامع ، متحرِّراً من التبعيَّة للفكر الغربي والحضارة الغربية ، ومفاهيمها الاجتماعيَّة، ومذاهبها، ونظمها، وتشريعاتها الاقتصاديَّة والسياسيَّة .

٧- إنَّ الأمَّة الإسلامية مدعوَّة -في مواجهة أخطار الإذابة والانصهار في البوتقة الأمميَّة العالميَّة- إلى الالتفاف حول دولةٍ مسلمةٍ تكون قوّة عالميَّة تقود البشريَّة إلى برِّ الأمان، وتُقيم المجتمع المسلم، وتُقدِّم الإسلام للبشريَّة في مفهوم عمليّ جامع. ومَنْ غير المملكة العربية السعوديَّة مؤهلة لقيادة

العالم ، هذه الدولة الوحيدة التي ترفع علماً يحمل شعار التوحيد ، وتُطبِّق الشريعة الإسلاميَّة ، وترعى الحرمين الشريفين ، وهي مكان تجمّع الكفاءات والخبرات الإسلاميَّة من كافَّة أنحاء العالم الإسلاميّ . لذلك أُوصي أبناء العالم الإسلامي جميعاً أن يرفعوا علمها ، وأن يلتفُّوا حوله .

٨- ضرورة إعادة تقديم التراث الفكري الإسلاميّ في مختلف العلوم ، على نحوٍ يجعله شائقاً غزير المادة ، ثرَّ المعرفة ، سهل الأسلوب ، يُساعد الباحثين في سائر المجالاتِ على الاستفادة من هذا التراث، والوصول إلى دقائقه الجليلة، وكنوزه الغالية .

٩- يجب على صحافتنا أن تقوم بدورها في الردّ على حملات الأقلام المسعورة التي تستهدف ديننا ، وعقيدتنا ، ورسولنا ﷺ ، وأخلاقنا ، وقيمنا . وأن تردّ على التساؤلات التي تظهر بين الحين والحين في أذهان أبنائنا في ظلِّ هذه الهجمة الفكريَّة الشرسة التي تتعرَّض لها مجتمعاتنا المسلمة .

١٠- ضرورة إعداد الكوادر الصحفيَّة الموهَّلة والمدرَّبة والقادرة على نشر القيم الإسلاميَّة ، وربطها بمختلف القضايا ، وإثبات قدرتها على الاستيعاب .

١١- يجب أن نبقى مرابطين في الثغور ، نمنع الغزو الفكري من التسلُّل إلى مجتمعنا المسلم، مع القيام ببناء الأجيال المسلمة على قاعدة الإيمان والأخلاق الإسلاميَّة، وتوعيتهم بأخطار أعدائهم ووسائلهم وأساليبهم ، وتأثير ذلك على معتقدات المسلمين وسلوكيَّاتهم .

١٢- على الدعاة والمصلحين ألا يجمدوا على أسلوبٍ واحدٍ في الدعوة، وأن يُنوِّعوا أساليبها ، فيدخلوا على الشباب من طرقٍ تتلاءم مع عقليّاتهم ، وأن ينشروا دعوتهم علناً ، وأن يقوموا بإصلاح قلوب النَّاس وعقولهم بأوسع نطاق، وأن يُعِدُّوا النَّاس للغايات المثلى بسلاحٍ من الخُلُق الفاضل، والشمائل الكريمة ، والسلوك الحسن ، والموعظة الحسنة ، والحكمة البالغة .

وختاماً : وبعد أن سُقت ما عندي من توصيات ، أُحبُّ أن أُذكِّر ببعض التوصيات الرائعة التي انبثقت عن المؤتمر العالمي للدعوة وتوجيه الدعاة ، والذي عُقِد في رحاب هذه الجامعة المباركة -الجامعة الإسلاميَّة- في الفترة من٢٤-٢٩/٢/١٣٩٧، وكان من أهمِّها -فيما يتعلَّق بموضوعنا- :

١- تحذير المسلمين من النشاطات المعادية للإسلام ، والتي تتقنَّع في مؤتمرات بأسماء مختلفة، مثل : مؤتمر العلوم الإنسانيَّة، ونوادي الصداقة، والمؤسسات الثقافيَّة ، والندوات الاجتماعيَّة المشبوهة ، كالروتاري ...

٢- تحذير المسلمين من الدعوة المشبوهة التي روَّجها أعداء الإسلام لتحديد النسل ، واستنكار ما تقوم به بعض الحكومات من إجبار المسلمين على تحديد نسلهم بطريق التعقيم الإجباري .

٣- يستنكر المؤتمر التشكيك في نسخ الإسلام للشرائع السابقة، فإنّ الإسلام الذي بعث الله به محمَّداً ﷺ ، هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده ، ولا يقبل من أحدٍ سواه ، وهذا مِمَّا لا خلاف فيه بين علماء الإسلام ، وهو

من المعلوم من الدين بالضرورة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥] ، كما يستنكر استغلال التسامح الدينيّ الذي يتميَّز به الإسلام، لإزالة الفوارق بين الأديان، واختلاط الكفر والإيمان، وتسوية التوحيد بالتثليث.

٤- يوصي المؤتمر الحكومةَ السعوديَّة بتبنِّي مشروع دائرة معارف إسلاميَّة على الأساليب العلميَّة السليمة ، لتكون مرجعاً إسلاميًّا أصيلاً ، مع العناية ببيان أخطاء دائرة المعارف الإسلاميَّة التي وضعها المستشرقون ، والتي هي حافلة بالأغلاط والمغالطات العلميَّة في طريقة البحث ومناهجه ومادّته ، فضلاً عمَّا فيها من الافتراء على الإسلام وحضارته وتاريخه .

٥- توعية المسلمين لإخراجهم من وقفة الضعف والمدافعة، إلى موقف القوَّة والمجابهة .

٦- استنكار جميع ما تقدِّمه وسائل الإعلام في الدول الغربيَّة،مثل الروايات المسلسلة التي تُظهرالمسلمين في صور مزرية،ووضع اسم"مكّة"على نوادي القمار والرقص.

٧- إنشاء اتّحاد للهيئات الإسلاميَّة في كلِّ دولة ، ينظِّم جهودها ، ويُخطِّط لها . وإعانته بالإمكانات المادية اللازمة ، تمهيداً لإقامة اتحاد إسلاميّ أوسع .

٨- حثّ الجامعات الإسلاميَّة على تتبّع افتراءات المستشرقين على الإسلام ، وعلى نبيِّه -عليه الصلاة والسلام- ، والردّ عليهم .

إلى غير ذلك من التوصيات الرائعة .

وفي الختام : أشكر الجامعة الإسلاميَّة ، وعلى رأسها معالي شيخي وأستاذي الفاضل الدكتور / صالح بن عبد الله العبود حفظه الله ، على إتاحة الفرصة لي لتقديم بحثي، سائلاً المولى ﷻ أن يُثيبهم أحسن الإثابة، وأن يجزيهم خير الجزاء. وصلِّ اللهمّ على عبدك ورسولك نبيِّنا الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين .



فهرس المراجع والمصادر

١- الابتعاث ومخاطره ، للدكتور محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٢- أثر الانفتاح العالميّ على عقيدة الشباب في اليوم الآخر وفي القدر خيره وشرّه ، للدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي ، بحثٌ محكَّم مقدَّم إلى المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلاميّ ، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، منشور ضمن أبحاث المؤتمر ٢/٢٩٩-٣٣١ .

٣- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير - الاستشراق- الاستعمار، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط٧ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٤- احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، للدكتور سعد الدين السيد صالح ، مكتبة الصحابة، الشارقة-الإمارات، ومكتبة التابعين ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

٥- أحلام الفلاسفة، لسلامة موسى ، نشر دار سلامة موسى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د.ت) .

٦- أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلاميّ ، للدكتور صابر طعيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٧- الإذاعة الإسلاميَّة المسموعة والمرئيَّة وطموحات المستقبل ، لعبد المجيد شكري ، نشر مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلاميّ ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

٨- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلاميَّة ، للدكتور زغلول راغب النجَّار ، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ ، ١٩٨١م .

٩- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلاميّ ، للدكتور عليّ محمد جريشة ، والأستاذ محمد شريف الزيبق ، نشر دار الاعتصام ، القاهرة ، (د . ت) .

١٠- الإسلام على مفترق الطرق ، لمحمد أسد ، توزيع دار الجهاد ودار الاعتصام ، القاهرة، (د . ت) .

١١- الإسلام كما ينبغي أن نعرفه ، للدكتور محمد شامة ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
١٢- الإسلام والإنترنت ، لأحمد جوهر أحمد ، نشر دار الكلمة للنشر والتوزيع ، المنصورة، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
١٣- الإسلام والدعوات الهدَّامة ، لأنور الجنديّ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢م.
١٤- إسلامنا : تعريف موجز، للدكتور مصطفى السباعي ، دار الورَّاق للنشر والتوزيع، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
١٥- أصحاب الخيام في مهامّ تنصيريَّة ، بحثٌ أعدَّه أحد المنصِّرين ، وقامت بنشره دار طيبة في الرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـ .
١٦- أضواء على أفلام الفيديو ، للدكتور محمود يوسف مصطفى عبده، مكتبة الطرفين، الطائف ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
١٧- الإعلام الإسلامي : الواقع ، التحديات ، المستقبل ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د . ت) .
١٨- الانحراف في مراحل النموّ المختلفة ، لمجموعة من الباحثين ، منشور ضمن كتاب : الانحراف : أسبابه وعلاجه ، تصدره جائزة صاحب السموّ الملكيّ الأمير محمَّد بن سعود بن عبد العزيز أمير منطقة الباحة ، العام الثامن ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، من ص ١١٢-١٦٣ .
١٩- الإيمان والاستقامة وأثرهما في تجفيف منابع الانحراف ، للدكتور علي إسماعيل محمد ، منشور ضمن كتاب الانحراف : أسبابه وعلاجه ، تصدره جائزة صاحب السموّ الملكيّ الأمير محمَّد بن سعود بن عبد العزيز أمير منطقة الباحة، العام الثامن، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، من ص ٤٠٥-٤٢٠ .
٢٠- البثّ المباشر : حقائق وأرقام ، للدكتور ناصر بن سليمان العمر ، توزيع مؤسسة الجريسيّ ، ط١ ، ١٤١٢هـ .

٢١- بثّ وافد على شاشات التلفزيون ، لانشراح الشال ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
٢٢- بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة محمد خليفة التونسي، تقديم عباس محمود العقاد ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
٢٣- التبشير والاستعمار، لعمر فروخ، والخالدي، نشر المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)
٢٤- التربية الإسلاميَّة ودورها في مقاومة الانحراف : دراسة تحليلية ، للدكتور محمد عبدالقوي شبل الغنَّام ، بحث منشور ضمن ندوة الانحراف : أسبابه وعلاجه ، نشر لجنة جائزة صاحب السموّ الملكي الأمير محمد بن سعود بن عبد العزيز لحفظة كتاب الله الكريم ، لعام ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
٢٥- التربية الوقائيَّة في الإسلام ، لفتحي يكن ، نشر مؤسّسة الرسالة ، بيروت ، ط٧ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
٢٦- التكنولوجيا الحديثة والاتصال الدولي والإنترنت ، لبروفيسور علي محمد شمو ، نشر الشركة السعوديَّة للأبحاث والنشر ، جدة ، (د . ت) .
٢٧- التلفزيون بين المنافع والمضارّ ، للدكتور عوض منصور ، مكتبة المنار ، الزرقاء- الأردن، ط٤ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .
٢٨- حتى لا نفتقد شبابنا، للدكتور عبد القادر محمد عطا صوفي ، نشر نادي القصيم الأدبي ، بريدة ، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
٢٩- حزب البعث : تاريخه وعقائده، لسعيد بن ناصر الغامدي ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط١ ، ١٤١١هـ .
٣٠- الخادمات وأثرهنّ على الأسرة والمجتمع ، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميِّس ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
٣١- خطر المربيات غير المسلمات على الطفل المسلم، لخالد أحمد شنتوت، دار المجتمع ، جدة ، ١٤١٣هـ .

٣٢- دراسات إسلاميَّة معاصرة ، لأنور الجندي ، نشر وتوزيع المكتبة العصريَّة ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٣٣- دور الشباب في حمل رسالة الإسلام ، للدكتور عبد الله ناصح علوان ، نشر الندوة العالميَّة للشباب الإسلامي ، الرياض ، (د . ت) .

٣٤- دور الصحافة الدينيَّة في مواجهة الغزو الثقافي للشباب ، للدكتور سامي السعيد النجَّار ، بحثٌ مقدَّم إلى المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلاميّ ، الرياض ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، منشور ضمن أبحاث المؤتمر ١/٧١-١٥٢ .

٣٥- السنَّة ومكانتها في التشريع الإسلاميّ، للدكتور مصطفى السباعي، المكتب الإسلاميّ، بيروت ، ط٢ .

٣٦- الشباب : دراسات ولقاءات ، للأستاذ أحمد محمد جمال ، مطابع الروضة ، جدة ، نشر المكتبة الصغيرة ، (د . ت) .

٣٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل ، للدكتور عبد الحليم عويس ، نشر دار الوفاء ، المنصورة ، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٣٨- الشباب المسلم في مواجهة التحدِّيات ، للدكتور عبد الله علوان ، دار القلم ، دمشق ، والدّار الشاميَّة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٣٩- الشباب المسلم : قضاياه ومشكلاته، لأنور الجندي، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

٤٠- الشباب والانفتاح العالمي ، للدكتور صالح بن غانم السدلان ، بحثٌ محكَّم مقدَّم إلى المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلاميّ ، الرياض ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، منشور ضمن أبحاث المؤتمر ٢/٣٦٩-٤٢٤ .

٤١- الشباب وقضاياه المعاصرة ، للأستاذ الدكتور إبراهيم بن مبارك الجوير ، نشر مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

٤٢- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجَّاج النيسابوريّ ، تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، (د . ت) .

٤٣- الصراع بين الفكرة الإسلاميَّة والفكرة الغربيَّة ، لأبي الحسن الندوي ، طبعة القاهرة ، ١٩٧٧م .
٤٤- عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام ، للدكتور عبد الله ناصح علوان ، نشر دار السلام ، جدة ، ١٩٨٥م .
٤٥- عقيدة الشباب بين يدي الانفتاح العالمي ، للأستاذ نزار محمَّد بن محمَّد علي ، بحثٌ محكَّم مقدَّم إلى المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلاميّ ، الرياض ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، منشور ضمن أبحاث المؤتمر ١/٢٩٥-٣٣٧ .
٤٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لمحمد بن أحمد العيني، طبع مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ .
٤٧- العولمة الغربيَّة والصحوة الإسلاميَّة : الموقف الرشيد ، للأستاذ الدكتور عبد الرحمن ابن زيد الزنيدي، دار أشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٤٨- الغزو الثقافي للأمة الإسلاميَّة : ماضيه وحاضره ، لمنصور عبد العزيز الخريجي ، دار الصميعي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ .
٤٩- قادة الغرب يقولون : دمِّروا الإسلام ، أبيدوا أهله ، لجلال العالم ، نشر جمعيَّة التوجيه الإسلامي الخيريَّة ، طرابلس-لبنان ، (د . ت) .
٥٠- القيم الخُلُقيَّة والروحيَّة وأثرها في تكوين الشخصيَّة العربيَّة ، للدكتورة عائشة عبدالرحمن، نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة، القاهرة ، ١٩٦١م .
٥١- كيف يُحطِّم المسلمون قيدَ التبعيَّة والحصار ، لأنور الجندي، مؤسسة الكتب الثقافيَّة، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
٥٢- مخاطر الوجود اليهوديّ على الأمَّة الإسلاميَّة ، للدكتور محمد عثمان شبير ، مكتبة المنار الإسلاميَّة ، الكويت ، ط٢ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
٥٣- المختارات،لسلامة موسى، نشر دار سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)

٥٤- المخدرات في الفقه الإسلاميّ ، للدكتور عبدالله الطيّار، دار ابن الجوزي، الدمام ، ط٢ ، ١٤١٨هـ .

٥٥- المرأة المسلمة أمام تحدّيات العولمة ، للأستاذة سهيلة زين العابدين حمّاد ، بحثٌ محكّم مقدَّم إلى المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلاميّ ، الرياض ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، منشور ضمن أبحاث المؤتمر ٢/٧١-١٢٤ .

٥٦- المسلمون في مواجهة البثّ المباشر، إعداد دار طويق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦م .

٥٧- المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسيَّة ، لعبد الله بن حمد الشبانة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٩هـ .

٥٨- مشاعل الطريق للشباب ، لسلامة موسى ، نشر دار سلامة موسى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د . ت) .

٥٩- مشكلات الشباب : الحلول المطروحة والحلّ الإسلاميّ، للدكتور عباس محجوب . كتاب الأمَّة رقم ١١، نشر رئاسة المحاكم الشرعيَّة والشؤون الدينيَّة بدولة قطر، ط٢، جمادى الأولى ، ١٤٠٦هـ .

٦٠- المعلِّم في مواجهة المخدِّرات ، لجون إدِّي ، ترجمة محمد عبد العليم مرسي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ١٤١٢هـ .

٦١- من روائع حضارتنا ، للدكتور مصطفى السباعي ، نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

٦٢- المنظمات الدوليَّة ودورها في التغيير الثقافي والفكري ، لحسين محمد الجرادي ، ورقة عمل مقدَّمة إلى المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلاميّ، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، منشورة ضمن أبحاث المؤتمر ١/٤٩٣-٥٠٩ .

٦٣- من مشكلات الشباب ، للشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله ، نشر مركز شؤون الدعوة في الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ .

٦٤- منهج الإسلام في تربية الشباب وتوجيهه ، للدكتور يوسف الكتاني، بحثٌ محكَّم مقدَّم إلى المؤتمر العالمي التاسع للندوة العالمية للشباب الإسلاميّ، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، منشور ضمن أبحاث المؤتمر ٤١/١-٥٨ .

٦٥- المؤامرة على الإسلام ، لأنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٦٦- هموم داعية ، لمحمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

الدوريات :

٦٧- جريدة الرياض ، صحيفة يوميَّة جامعة .

٦٨- مجلَّة "الأسرة" ، تصدرها شهريًّا : مؤسسة الوقف الإسلاميّ ، الرياض ، المملكة العربية السعوديَّة .

٦٩- مجلة "الإصلاح" ، تصدرها شهريًّا بصفة مؤقتة : جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة .

٧٠- مجلة "الاعتصام" ، مجلة إسلاميَّة أسبوعيَّة ، تصدرها الجمعيَّة الشرعيَّة في جمهوريَّة مصر العربية ، القاهرة .

٧١- مجلة "الأمَّة" ، مجلة إسلاميَّة شهريَّة جامعة ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعيَّة والشؤون الدينيَّة في دولة قطر .

٧٢- مجلة "البلاغ" ، صحيفة إسلاميَّة سياسيَّة جامعة ، تصدرها أسبوعيًّا مؤسَّسة البلاغ للصحافة والطباعة ، الشويخ ، الكويت .

٧٣- مجلة "الجندي المسلم" ، مجلة إسلاميَّة ثقافيَّة عسكريَّة ، يصدرها قسم التوعية الإسلاميَّة بإدارة الشؤون الدينيَّة للقوات المسلحة بالسعودية ، الرياض-وزارة الدفاع والطيران .

٧٤- مجلة "الدعوة" ، مجلة إسلاميَّة أسبوعيَّة جامعة ، تصدر عن مؤسسة الدعوة الإسلاميَّة الصحفيَّة ، الرياض ، المملكة العربيَّة السعوديَّة .

٧٥- مجلة "الدعوة" ، صحيفة أسبوعيَّة إسلاميَّة جامعة ، تصدر شهريًّا مؤقتاً ، في القاهرة–مصر .

٧٦- مجلة "رسالة المعارف" ، مجلة تربويّة شهرية ، تصدر عن إدارة الإعلام التربوي بوزارة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعوديَّة .

٧٧- مجلة "الشعلة" ، تصدر عن اللجنة الإعلاميَّة لرابطة العلوم الإداريَّة ، الكويت .

٧٨- مجلة "العربي" ، مجلة شهريَّة ، تصدر عن وزارة الإعلام الكويتيَّة ، الكويت .

٧٩- مجلة "المجتمع"، مجلة إسلامية أسبوعية، تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي، الكويت ، الكويت .

٨٠- مجلة "المستقبل الإسلامي"، مجلة شهريَّة، تصدرها الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض .

٨١- مجلة "الوطن العربي" ، مجلة أسبوعيَّة إخباريَّة ، تُصدرها في "باريس" مؤسّسة الوطن العربي .

التقارير :

٨٢- تقرير عن توصيات المؤتمر العالمي للدعوة وإعداد الدعاة ، المنعقد في رحاب الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة ، في الفترة من ٢٤-٢٩/٢/١٣٩٧هـ .

فهرس المحتويات

تمت


الثغرات التي يتسلل منها الغزو
الفكري وسبل تلافيها

أصل هذا الكتاب بحث محكم مقدم إلى الندوة العلمية
التي نظمتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
تحت عنوان:
ندوة تحصين شباب الجامعات ضد الغزو الفكري
وذلك في مقر الجامعة الإسلامية في الفترة من ١٢-١٤/٣/١٤٢٤هـ

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

الناشر

مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة

هاتف ٨٤٥٢٢٧٣ ـ ٨٢٥١٩٤٢
المدينة المنورة ـ ص ب : ٦٨٨
المملكة العربية السعودية

دار العلوم والحكم
سوريا

دمشق – هاتف ٧١١٦٤٤٢